شهادات أدباء سوريا في زمن النظام الردّي



منشورات جريدة «النفير» الدمشقية
جريدة كل الجماهير العربية المناضلة في سوريا

١ — هذا الكتاب ...

تطمح اسرة تحرير جريدة «النفير» ان تجيب على سؤال طالما تشوق اخواننا العرب خارج القطر السوري لمعرفة جوابه . وهذا السؤال هو : «ماهي حقيقة الاوضاع في سوريا بعد سبع سنوات من انفراد حافظ اسد بالسلطة» ؟

وتوخيا للدقة والموضوعية والامانة في نقل معالم الصورة فاننا اخذنا مواد هذا الكتاب من صلب كلمات كان قد نشرها في صحف نظام حافظ اسد كتاب النظام انفسهم .. وسوف نشير الى مصدر كل كلمة .. ولن نضيف من عندنا الا بعض الهوامش والملاحظات البسيطة ، مما هو مطبوع بالحرف الابيض ، لتمييزه عن المتون المطبوعة بالحرف الاسود .

ولاشك ان القاريء الكريم سوف يتساءل : كيف تسمح صحف النظام بنشر مثل هذه النصوص والكتابات التي تفضح لدى القاريء الواعي فساد النظام ؟

لذلك راينا من الواجب ان ننبه منذ الان الى الاسلوب الذكي والخبيث الذي يتبعه اعلام هذا العهد الفاشستي . وهو اسلوب ذكي جدا يجري تنفيذه بدقة .. ويتلخص هذا الاسلوب بأن تنشر الصحف نقدا للاوضاع يجعل القاريء « ينفش » ويتوهم بان هناك حرية صحافة . وبالتالي فان العهد عهد حرية . لذلك نجد في صحف هذا العهد الفاشستي نقدا لاوضاع الخبز ، والتموين والفنون ، والسينما ، والزراعة ، والصناعة ، والتلفونات ، وكل ظاهرة عامة من حياة المجتمع والناس . واحيانا يكون هذا النقد لاذعا او عنيفا . لافي الصحف وحدها بل حتى في الاذاعة والمسرح (تمثيليات دريد لحام مثلا) مما ينفس كربة القلوب ويمتص النقمة الشعبية ويجعل الناس الواهمين يقولون :« والله عال . هاان حقوقنا وصلت الينا » ..

مع ان شيئا من الفساد والتأخر لم يتغير ولن يتغير .. وحافظ اسد وعصابته لن يهمهم النقمة الشعبية ما دامت هذه النقدات التي تمتص النقمة الشعبية وتلهي الناس وتخدعهم لا تمس النظام ولا تؤثر عليه . لان هذا النظام الفاسد قائم على اساس ذكتاتورية الفرد وتسلط زبانيته وازلامه . ولان هذه النقدات لا تتعرض لهذا النظام فتكشف فساده للناس وتدعوهم للثورة عليه ،بدليل اننا لم نقرأ ولاكلمة نقد واحدة عن سياسة الخيانة القومية التي لايزال النظام يتبعها حيال قضيتنا في فلسطين ولبنان .. كما اننا لم نقرأ ولا كلمة واحدة حول الثروات الحرام التي يجنيها حافظ اسد بالذات ، واخوه رفعت ، ومحمد حيدر ، والمئات من امثالهم الذين باعوا الوطن وداسوا امال الشعب في سبيل تكوين ثروات خيالية كلها مشبوهه وكلها حرام وكلها تؤدي بالتالي الى زيادة فقر الفقراء وزيادة بؤس البؤساء وزيادة سوء الاوضاع المعاشية في الريف والمدينة معا .

ودليل اخر على ان «العهد الاسود» راض على تلك النقدات الكاذبة التي كل وظيفتها ان تجهض النقمة الشعبية دون ان تضر النظام او تفضح المجرمين واللصوص والنهابين .. ودليلنا هو ان حافظ اسد بدلا من ان يمنع تمثيليات دريد لحام فانه منح هذا الممثل اعلى وسام .

لماذا منح حافظ اسد اعلى وسام لدريد لحام ؟ هل لان تمثيليات دريد الناقدة اللاذعة تفضح العهد ام لانها تمتص النقمة الشعبية وتجهضها وتجعل الناس يغادرون المسرح وهم راضون ، بينما الاوضاع ظلت هي هي .. بل انها تزداد سوءا يوما بعد يوم .

* * *

لكن هناك خطا احمر لايحق لكتاب النظام ان يتخطوه .. هذا الخط الاحمر هو «السياسة» يقول الكاتب زكرياتامر ،

وهو [illegible] الركائز البارزين في اعلام النظام عندنا ، ملتجئا الى اسلوب الرمز والحكاية الاسطورية :

« عندما انبأت القطط الملك ان جحا يتكلم كثيرا ، ابتسم وقال: سلوكه طبيعي فالله لم يخلق الالسنة لابناء آدم الا لحكمة ما خفية ولكنها لابد من ان تكون جليلة الشأن .

وعندما قالت عصافير الدوري للملك ان جحا يتكلم منتقدا اتباعه وولاته ، ضحك وقال : المواطنون كافة احرار يقولون مايشاؤون .

ولكن الاسماك لما اخبرت الملك ان جحا يقول عليه انه ظالم مستبد ، غضب ، ونقم على جحا ، واستدعاه ، وقال له بنزق : سمعت انك تحكي في الامور السياسية فقل الصدق والا ....

فتطلع جحا فيما حوله ، فرأى السيوف اكثر عددا من الرؤوس ، فارتجف ، وقال للملك : اعوذ بالله ! هناك شهود على اني منذ ان ولدت ام افه بكلمة واحدة لها علاقة بالسياسة ايمانا مني ان الحي الجائع افضل من الميت الشبعان » .

جريدة تشرين – العدد ٣١٨

اذن فجحا ، وهو رمز للكاتب او المفكر او المواطن السوري بشكل عام ، لن يضير الملك – اي حافظ اسد – أو يقلقه اذا «تكلم كثيرا» او اذا «انتقد الاتباع والولاة» .. ولكن الملك يغضب اذا تكلم جحا في السياسة ... و «السياسة» في مفهوم الحاكم المستبد تعني عادة «شخصه الكريم» بالذات ... فمادام الادباء والشعراء والصحفيون في قطرنا السوري لايكتبون حرفا عن السيد الرئيس قائد المسيرة – الابالمدح طبعا – ولايمسون بالفضح جرائم اخيه واعضاء الاسرة الحاكمة، فلهم ان يفضوا جرابهم كما يشاءون .. بل لهم ايضا ان يتحدثوا في السياسة بمعنى شتم اتفاقية سيناء بين حكومة القاهرة

وحكومة العدو ، وان يسكتوا عن هذه الاتفاقية عندما تصدر اليهم الاوامر بالسكوت عنها ...

لذلك ظل ثمة مجال امام ادباء قطرنا لان يتنفثوا هنا وهناك نثرات مما يفرج عن قلوبهم ، ويعطي في الوقت ذاته صورة عامة عن الوضع المؤلم والمخزي الذي وصلت اليه احوالنا العامة .

والكاتب العربي عموما ، وكتابنا في سوريا بشكل خاص هم كتاب اذكياء ، لم تنقصهم الوسيلة التي يسربون بها مايريدون قوله ، دون استثارة غضب الحاكم الجلف عليهم .. فهم قد لجأوا الى اسلوب الرمز كما سوف نرى في متن هذا الكتاب ، ومنهم من تغطى بغطاء النكته والسخرية كما سوف نرى في شهادات الشاعر محمد الماغوط . ومنهم من لجأ الى اسلوب وضع اللوم على الشعب حين اراد ان يفضح وقائع هذا التدهور الرهيب في كافة مظاهر حياتنا ، وهو يعلم ان الشعب سيعيد السبب الحقيقي الى مصدره الحقيقي وهو النظام وسيد النظام .. ومنهم من تورط في المصارحة الواضحة ف «بق البحصة» فكان مصيره الموت البطيء في غياهب السجون ومنهم من لجأ الى الحكاية والاسطورة ،على طريقة كليلة ودمنة وابرزهم في هذا الحقل القاص زكريا تامر الذي نشر في جريدة «تشرين» سلسلة طويلة من القصص القصيرة جدا تحت عنوان «حكايات جحا الدمشقي» ففضح فيها النظام الفاسد ابرع فضح .. ثم ، فجأة انقطعت سلسلة حكايات جحا الدمشقي ، واختفى من جريدة «تشرين» اسم زكريا تامر ... فماذا قال كتاب النظام من شهادات بحق هذا النظام ؟...

٢ ـ كيف تشكل الحكومات في الزمن الـردي

من حق القاريء الكريم علينا ان نكمل له قصة ماجرى لجحا الدمشقي عندما استدعاه الملك وقال له بنزق :



ـ سمعت انك تحكي في الامور السياسية ، فقل الصدق والا ....

ان زكريا تامر يكمل لنا هذه الحكاية قائـلا :

« قال الملك ـ اي حافظ اسد ـ لجحا : نمي الى كلام كثير عن علمك وحكمتك فآمرك ان تتخيل ماذا تفعل اذا كلفتك الاعمال التي ستطلب منهم تنفيذها ....

فنظر جحا ثانية الى السيوف المسلولة ، وقال توا كمن سبق له ان فكر طويلا في الجواب : من البديهي يامولاي اني ساختار وزراء اكفياء ،وستكون لكل وزير مهمة معينة ، فوزير الشموع سيوزع الشـموع مجانا على المواطنـين علـى ان تشـعل فقـط في المناسـبات التاريخية كقراءة جريـدة حكوميـة او مـدح زوج لحسـن زوجتـه . وسيستثنى الموظفون يوم يقبضون رواتبهم الشهرية ، ويسمح لهم باشعال الشموع ليل نهار .

اما وزير الاجواء فسينحصر عمله في منع المنخفضات الجوية من التسلل الى البلاد ، فاذا تكاثـرت المنخفضات ، اصبحت مثالا يحتذى،وقد تحض المواطنين بصورة غير مباشرة على المطالبة بتخفيض اسعار المواد الغذائية والثياب وايجار البيوت ،فاذا نفذ طلبهم فان خزائن مولاي ستتضاءل اموالها، اما اذا اهمل طلبهم فسيغضبون ويتذمرون ويمسون مؤهلين لدخول السجون ..... .

قال الملك مقاطعا : انسيت ؟ هناك سجون كثيرة !

قال جحا : قد لاتكفي ، وبناء سجون جديدة يتطلب اموالا تقضي مصلحة الوطن الا تنفق الا على شراء الجواري الجميلات لمخادع مولاي ، فحين يصبح مولانا الملك سعيدا فالمواطنون اجمعين سيكونون سعداء .

قال الملك متسائلا بفضول : وهل ستشمل وزارتك على وزيرين فقط ؟!

قال جحا : لالا .. هناك وزراء اخرون .. هناك وزير الفضيلة ، وواجبه الاول حث المواطنين على ان يكونوا محتشمين .

قال الملك مدهوشا : وكيف يكون سلوك المواطن المحتشم ؟!

قال جحا : المواطن المحتشم اذا حل به ظلم او ذل لايغضب على الحكام بل يندد بأفلام سعاد حسني .

قال الملك وقد تزايدت بهجته : تابع كلامك ياجحا ... انت الحكيم حقا !

قال جحا : والوزير الرابع هو وزير الاحياء والاموات ، وسيكون مسؤولا عن طعام المواطنين وصحتهم وعملهم ، ولذا فيجب ان يتصف بالقدرة على التأثير في المواطنين لاقناعهم ان الطعام يحط من قدر الانسان ، وان الحيوان وحده هو الذي يكرس حياته كلها للحصول على طعام .

قال الملك : وكيف سيرعى صحة المواطنين ؟ هل سيبني المزيد من المستشفيات ؟!

قال جحا : سيطبع كتبا تتضمن دراسات مطولة تبرهن على ان الله وحده هو الشافي .

قال الملك :وتعليم المواطنين ؟ هل ستفتتح مدارس جديدة ؟!

قال جحا : تعليم المواطنين كافة ترف لاتحتاج البلاد اليه خاصة وان الدولة تؤمن بالمساواة وبمبدأ تكافؤ الفرص ،ولا تميز بين جاهل وعالم .

فسأل الملك :والاعداء الطامعون في الاستيلاء على البلاد؟!

قال جحا اطمئن يامولاي ، فهناك وزير سيتولى حماية البلاد من هؤلاء الاعداء ، وسيبدأ حمايته تلك بالقضاء على اعداء مولاي . كما ان هناك وزيرا سيسهر على امن المواطنين

فيسجن اللص الذي يسرق طنجرة ، اما اللص الذي يسرق الملايين فسيظل طليقا تقديرا لجرأته وشجاعته والحؤول دون هجرة الادمغة الى خارج البلاد .

قال الملك : ولاتنس ياجحا اني ارغب في ان يسود الفرح ..

قال جحا : سيكون هناك بالطبع وزير مختص بالمسرات وستكون مهمته تذكير الناس بالقبور التي تترقبهم ، فيشعرون حتما بالفرح لانهم ما زالوا أحياء ...

فقال الملك محمر الوجه نشوة : والعدل ياجحا ؟!

قال جحا : سيسود العدل اذا نجح الوزير المسؤول عنه في جعل المواطنين يؤمنون ان القناعة كنز لايفنى ، وان الحسود لايسود والحسد اصل الشرور .

قال الملك بحماسة : اياك ونسيان الضرائب !

قال جحا : كيف انساها وبؤس البائسين يرجع سببه الوحيد الى احساسهم بانهم مواطنون مقصرون ، ولايدفعون الا القليل من الضرائب ؟!

فصاح الملك بجحا بصوت مفعم بالاعجاب : كفى كلاما فقد استوثقت من انك الرجل المنتظر والجدير حقا بتأليف الوزارة التي كنت اتوق اليها ... وزارة تنصف الظالم وتعاقب الظالم وتنشر العـــدل ...

فذعر جحا ، ولكن ذعره تلاشى سريعا لما تكلم الملك وامر واحدا من اهله ان يختار وزراء يعملون بامانة ونزاهة وفق النهج الجحوي .

جريدة تشرين ــ ٢١٨

ان تل الزعتر .. لم يسقط .. وانما الذي سقط حافظ الاسد وعصابته !

٣ ـ وزراء جحا حسب النهج الجحوي

وبالفعل ـ ياأخواننا العرب في كل مدينة من وطننا الكبير .. ويا اصدقاءنا التقدميين في كل مكان من العالم ـ فان اصغر مواطن عندنا في سوريا صار يعرف ان الوزراء عندنا ، في عهد حافظ اسد ، ليسوا اكثر من احجار شطرنج بين يدي صاحب القصر .. بل ان رئيس الوزراء ، والوزراء ، وزعماء مايسمونه «الجبهه الوطنية» وواجهات مايسمونه كذبا «الحزب» ، لا يستطيعون ان يحركوا ساكنا الا بايعاز .. بل ان اكبر واحد فيهم ليس له من الحول والطول في القضايا والامور مالانسان تافه مجهول ولكن لهعلاقة وطيدة باحد افراد الاسرة الحاكمة ..

نظم سباق لخير الفرسان والجياد ، فجاء جحا الى ميدان السباق راكبا حماره . واعلن عن رغبته في الاشتراك في ذلك السباق ، فقيل له : انت بالتأكيد مجنون ،فمن المعروف انك ليست بالفارس ، وحمارك كسلان بطيء السير . فضحك جحا ، وقال :انا لست بالمجنون بل انتم المجانين لانكم لاتبصرون الحقيقة الاكثر وضوحا من شمس النهار . وعندما طالبه البعض بالمزيد من التفسير ، امتنع عن الكلام ، ثم اشترك في السباق ، وكان الفائز الاول ، وعندئذ اضطر الناس الى التنبه لامر منسي وهو ان ابن عم جحا كان ذا منصب خطير قادر على ان يجعل القلوب ترتجف هلعا ليل نهار .

جريدة تشرين ـ ٢٠١

ويتضح من هذا ان صاحب الحمار الكسلان البطيء يفوز في السباق على احسن الخيول العربية الاصيلة لان فرسان هذه الخيول هم فرسان عرب بينما راكب الحمار هو ابن عم رجل ذي منصب خطير «قادر على ان يجعل القلوب ترتجف هلعا ليل نهار» ..

بل ان ثمة قصة اطرف وابدع .

فقد « قرأ جحا كتابا يتضمن مديحا المشي بوصفه رياضة المفكرين فتأثر به ، وقرر الانضمام الى المشائين ، ليصبح من المفكرين وليبرهن ايضا على ان القدمين لم تخلقا من اجل الركض السريع الهادف الى تأمين طعام ما للمعدة .

وابتدأ يوما بتنفيذ قراره ، وسار على احد الارصفة بخطا متمهلة ، وفجأة اعترض طريقه رجل صارم الوجه والنظرات ، مسلح ببندقية ، وامره بعدم المشي على الرصيف ، فسأل جحا عن السبب ، فقيل له : اخرس فانت تمشي على رصيف يبعد مسيرة ساعة عن بيت وزير الميمنة .

فاعتذر جحا بحرارة وخوف ، وبادر الى السير في وسط الشارع وبعد قليل بوغت بشرطي سير يمسكه من كتفه ويهزه قائلا له متسائلا بهزء : هل انت سيارة ام دراجة ؟

قال جحا : لا .. انا مواطن ... وجدتي تدعى حواء .

قال شرطي السير : مادمت لست سيارة ولادراجة فلماذا تمشي في وسط الشارع ؟ هل تريد الانتحار دعسا تحت عجلات سيارة ؟!

قال جحا مستنكرا : اعوذ بالله .. انا مـن المعادين للتشاؤم ومن عشاق الحياة .

قال شرطي السير : اذن امش على الرصيف لتعود الى اولادك سالما معافى .

فقصد جحا الرصيف الثاني ، ولكنه ما ان سار بضع خطوات حتى قال له رجل مسلح ببندقية ان السير على هذا الرصيف ممنوع منعا باتا .

فدهش جحا ، ولما وجد ان الرجل المسلح وديع الوجه ، تجرأ على ان يسأله عن السبب ، فاشار الرجل الى بيت قريب وقال له : في هذا البيت يسكن شخص له قريب يقال انه قد شوهد يوما يصافح جار وزير الميسرة .

قال جحا بلهجة متوسلة : ارجوك ان تنصحني .. اذا اردت ان امشي فاين امشي ؟!

قال الرجل الوديع المسلح : اعتذر عن الجواب فالاوامر تقضي الا اتدخل في الشؤون الخاصة بالمواطنين ، فالمشكلة مشكلتك وعليك وحدك ايجاد الحل لها .

ولقد نجح جحا في ايجاد الحل حينما اتقن المشي في الفضاء)) .

جريدة تشرين ع ٣١٢

اذن فان من يتوهم — حتى او كان رئيسا للوزراء — انه يستطيع ان يحل ويربط . فانه سرعان مايعاقب بالقشمرة والشرشحة العلنية من اجهزة اعلام السلطة .. وهذا ماحدث للواء عبدالرحمن خليفاوي عندما اعيد الى وظيفة رئيس وزراء في منتصف عام ١٩٧٦ . فقد ظن حضرته انه حر ، وتوهم سيادته انه رئيس وزراء فعلا . فسمح لنفسه ان يباشر مهمة بسيطة جدا ، وهي ان يتفقد الاحوال في مستشفى حكومي بدمشق .. فماذا حدث ؟! ..

حدث ان نشرت صحفنا وقائع الزيارة باسلوب وتعليقات وعبارات يفهم منها القارىء الكريم ان هناك من يقول للخليفاوي طز ..

وعند حديثنا عن الاوضاع الصحية في قطرنا الحبيب سوف ننشر وقائع هذه الزيارة .

المهم ان سوريا ، في عهد حافظ اسد ، تحكم حسب النهج الجحوي ..

* * *

لكن .. ما دمنا قد باشرنا عرض بعض حكايات جحا الدمشقي ، اذن فلنستعرض صورة بلدنا اليوم من سياق ما كتبه زكريا تامر في حكايات مختارة اخرى .. قال :

٤ ـ الاشـياء المحظورة عندنـا !؟

تشاور عدد من اصدقاء جحا باحثين عن وسيلة كفيلة باثارة غضب جحا ، ثم استقر رأيهم اخيرا على ان يسألوه اسئلة محدودة اتفقوا عليها .

ولما اتفقوا به ، سارع واحد منهم الى القول له متسائلا بسذاجة مصطنعة : هل تملك يدين يا جحا ؟ !

قال الثاني : هل تملك عينين ؟

قال الثالث : هل تملك لسانا ؟

قال الرابع : هل تملك اذنين ؟

فلم يجب جحا ، وظل ساكتا هادئا ، فاضطر احدهم الى الصياح به بحنق : لماذا لا تجاوب ؟!

قال جحا : الجواب ليس سهلا ، فاسئلتكم جعلتني حائرا اشد الحيرة ، فاذا قلت لكم اني املك يدين وعينين واذنين ولسانا فانا اكذب ، واذا قلت لا املك يدين واذنين وعينين ولسانا فانا اكذب ايضـا .

فتصايحوا مدهوشين ، وحضوه على شرح كلامه المبهم ، فقال جحا : اذا كنتم تملكون سيوفا ولا تستخدمونها حينما يهدد الموت حياتكم فهذا يعني انكم في آن واحد تملكون السيوف ولا تملكونها .

فقهقهه اصدقاء جحا طويلا ، وتهامسوا قائلين انهم قد نجحوا النجاح الباهر فهم قد توقعوا ان اسئلتهم ستسبب لجحا الغيظ لا هذيان المجانين .

جريدة تشرين ـ ٣١٢

من يهـن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايـــلام

٥ ـ الخطايا العشر في عهد الارهاب

في سنة من السنين عمل جحا معلما في مدرسة ، فقال له يوما واحد من تلاميذه : انا اسمع كثيرا عن الخطايا العشر ولكني لم أستطع ان اعرف ما هي .

فقال جحا : اذن تريد ان تعرف تلك الخطايا العشر ؟!

قال التلميذ : الم تحضنا دائما على طلب العلم ولو في لاهور ؟

قال جحا : كانت الخطايا العشر في قديم الزمان عشرا ، اما اليوم فقد طرا عليها تعديل اختصرها في خطيئة واحدة .

قال التلميذ متسائلا بلهفة : وما هي تلك الخطيئة ؟

قال جحا : اياك وان تشتم الملك سواء اكان عادلا ام ظالما ! فوعد التلميذ معلمه جحا الا يرتكب تلك الخطيئة .

جريدة تشرين ـ ٣١١

تعليق بسيط :

قال الاستاذ حافظ الجمالي ، في جريدة « البعث » بتاريخ ١ـ٩ـ١٩٧٦ :

« ان بلادنا موهوبة بشكل خاص لانتاج الدجالين ، والغشاشين ، والخونة ، والجهلة ، والفسقة ، والعدوان على حرية الفكر .. وانه ان وجد « بريء » فعلينا حتما ان نستورده من الخارج ، كما نستورد السيارات والمعلبات والمعامل ومنتجات الصناعة » .

لقد اثبت الاستاذ حافظ الجمالي انه فعلا من كبار الكتاب لانه بهذه العبارات الموجزة والبليغة استطاع ان يصور مدى التدهور والانحلال الذي ادت اليه سياسة حافظ اسد التي حولت البلد الى مزرعة للنهب والاختلاس .. والامور مربوطة ببعضها .

٦ ـ لو نطقوا لفضحوا النظام الفاسد

كان جحا من محبي الكلام ، ولكنه تبدل فجاة ، وبات مقفل الفم باستمرار ، فقيل له بلهجة عتاب ولوم : ماذا جرى لك ! لقد اطلت سجن لسانك !

فقال جحا : يخيل الي اني عاقل ، ولذا فاني افضل ان اسجن لساني في فمي بدلا من ان يقوم لساني بسجني وراء القضبان . فقيل له ان السكوت حرام في الايام التي يسود الظلم فيها ،فضحك جحا ، وقال : اعرف ان السكوت حرام ولكن الله غفور رحيم ، ولكن من يسمع ما سيقوله له لساني لا يغفر . فانهالت على جحا كلمات التانيب والهزء ، فاستاء جحا ، وقال لمن حوله : ولماذا لا تتكلمون انتم ؟ الا تملكون السنة ؟ قال واحد من الرجال : انا متزوج من امراة ساحرة الجمال ، ولا ازال في شهر العسل .

وقال رجل ثان : وانا املك متجرا ، واذا سجنت فان تجارتي ستبور ، وسيسرقني عمالي .

وقال رجل ثالث : وانا لي زوجة واولاد ، ومن واجبي تامين القوت لهم يوميا .

وحاول رجل رابع الكلام ، فقاطعه جحا صارخا بنزق : من قال لكم اني وحدي في البلاد اليتيم ؟ !

وابتعد جحا عنهم بخطا مسرعة وقد ازداد حبه للسكوت.

جريدة تشرين ـ ٣١١

تعليق بسيط :

قال الكاتب محمد عمران : « كأنما أصبنا جميعا بفقدان شهية الكتابة . . فما من مرة وضع فيها الكاتب امام مثل هذا الشرط الاقصى : ان يحاصر بالقتل العام وهو اعزل . فالكلمة لم تعد سلاحا يجدي في وجه عاصفة كهذه التي تنحني لها شجرة الوطن ».   **ملحق الثورة الثقافي ٢٣-٩-٧٦**

٧ – كسر شآمة المواطن !!

سُئل جحا يوما : ايهما اجمل .. الشمس ام القمر ؟

فقال جحا لا فائدة في الجواب ما دام القمر والشمس مهملين ، ولا احد يجرؤ النظر الى اعلى .

في احد الايام امسك احد الفنانين في محافظة الحسكة مجموعة اللوحات التي رسمها واحرقها في نار التنور الذي كانت امه تخبز فيه امامه .

وفي يوم آخر احرق شاب من ادلب اربع مسرحيات كان قد كتبها .

وفي يوم ثالث مزق شاعر مجموعة من قصائده يأسا في احدى قرى منطقة تلطخ .

جان الكسان

جريدة البعث – ٢٠٠٤

٨ ـ لا حرية ولا عدل ولا تكافؤ فرص

اشتهر جحا بالعلم ، فأراد بعض الرجال امتحانه ، وتحلقوا حوله ، وساله احدهم : ما هي الحرية ؟

قال جحا : انها امراة لم يسبق لي ان تعرفت اليها في يوم من الايام .

فقال رجل ثان لجحا : وما هو العدل ؟

قال جحا : هذا نبات لا ينمو الا على قمم جبال لم تطأها قدم انسان .

وقال رجل ثالث لجحا : ما هو مبدا تكافؤ الفرص ؟

قال جحا : انه سمك من فضه يسبح في بحر من ماء الذهب . فتعالت صيحات الهزء والدهشة والاستنكار ، واتهم الرجال جحا بالجهل ، ولكنه قال لهم بلهجة موبخة : اسكتوا، لماذا الاستغراب والدهشة والاستنكار ؟ ! فمن يسال شخصا عن اشياء لا وجود لها ، يجب الا يدهشه سماع اي جواب مهما يكن غريبا .

ولكن الرجال استمروا في السخرية من جحا . وقيل انهم طالبوا من يهمهم الامر بارغام جحا على الانتساب الى مدرسة من مدارس مكافحة الامية ، ويقال ان طلبهم قد نفذ باسلوب لا يخلو من اثارة . وظفروا بالشكر لكونهم مواطنيين واعين كشفوا عن فرد من افراد الطابور الخامس .

جريدة تشرين ـ ٣٠١

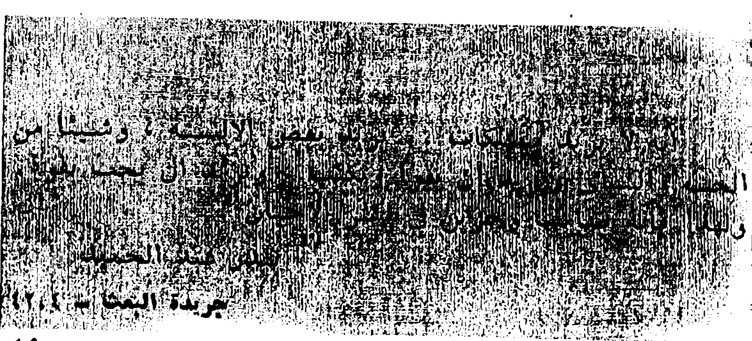
> لم يعرف شعبنا العربي ، في اي قطر من الوطن الكبير ، وفي اية فترة من التاريخ محنة مثل المحنة التي نعاني منها نحن السوريين اليوم .

٩ ـ كيف تحب حاكماً خائناً ؟

في يوم من الايام ، كان جحا يمشي في الشوارع ، وكانت الشمس مشرقة والسماء زرقاء والاشجار خضراء والعصافير تطير . وبدا لجحا في تلك اللحظة ان كل ما على سطح الارض رائع جميل واحس انه يحب الناس كافة ، وسيختنق ان لم يعبر عن حبه ، فوقف ، وصاح : يا ايها الناس .. يا ايها الناس .. فتحلق حوله اناس كثيرون ، وتطلعوا اليه بفضول ، فقال لهم بصوت متهدج : انا احبكم .

فضحك الناس كأنهم ابصروا انجح مهرج ، فقال جحا لهم باستغراب : اتسخرون مني لاني قلت احبكم .. فماذا ستفعلون لو قلت لكم اني امقتكم ؟!

فقيل له ان المواطن الصالح لا يحب الا زوجته وماله وسلطان بلاده .



١٠- اليســارية تاخذ معنى جديــدا

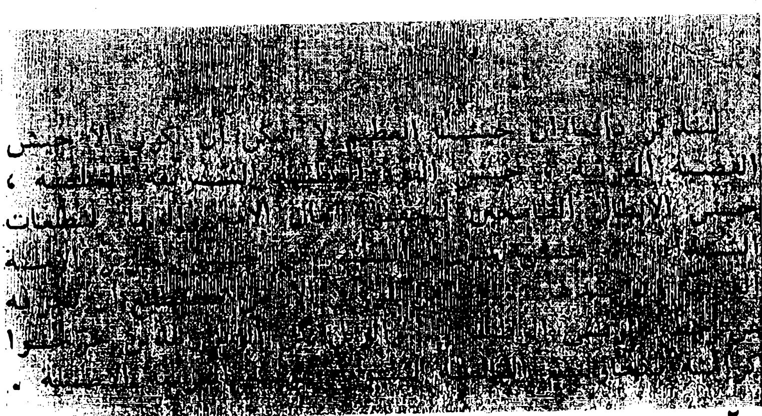
كان جحا مدعوا الى مادبة ، فقال له الرجل الجالس عن يساره : ارجو ان تعطيني الملح القريـب من يدك اليمنى . فغضب جحا : وصرخ بصوت تواق الى ان يسمعه القاصـي والداني : انت مخطيء ، فانا لا املك يدا يمنى .

قال الرجل باضطراب : ولكنك تملك يدين لا يدا واحدة.

قال جحا : ما تقوله صحيح ، فانا املك يدين ، واحـدة يسرى ، والثانية ايضا يسرى .

فبادر صاحب المادبة الى الاعتذار من جحا ، وقدم لـه افضل ما على المائدة من طعام .

جريدة تشرين - ٣٠٣



١١ـ صورة الحياة في دمشق

كان جحا دائم التذمر من الحياة في مدينته التي ولد فيها، ويتهمها باستمرار بانها لا تهب الا السأم .

وفي احد الايام قابل جحا مصادفة سائحا من السياح . فساله بفضول : ما رايك في هذه المدينة ؟

قال السائح : انا مضطر اليوم الجمعة الى السفر ولم امكث فيها الا ستة ايام فقط ، ولكني تسليت كثيرا ، ففي اليوم الاول السبت تفرجت على حريق عظيم هلك فيه كثيرون، وفي يوم الاحد شاهدت رجلا استمر في ضرب حماته على راسها بديوان شعر حتى قتلها ، وفي يوم الاثنين عض كلب رجلين ، فاعتقل الرجلان بتهمة ايذاء اسنان الكلب ، وفي يوم الثلاثاء صعد سائق بسيارته على رصيف مكتظ بالناس فقتل عشرات، وفي يوم الخميس تمكنت من رؤية رجال اختطفوا امرأة وهي تولول مستغيثة ، فقوبل فعلهم بنظرات الاعجاب والحسد ، وفي هذا اليوم .. يوم الجمعة .. وعندئذ صاح جحا على السائح مقاطعا : اياك وان تتابع كلامك !

وانطلق يركض هاربا . وعندما قيل لجحا ان سلوكه يسيء الى السمعة السياحية للوطن ، اجاب : خشيت ان يقول السائح انه في يوم الجمعة شاهد جحا يقع ارضا ميتا بالسكتة القلبية .

ولكن جحا استفاد من الالتقاء بذلك السائح ، وتنبه ان مدينته تسلي اكثر مما ينبغي .

جريدة تشرين ـ ٣٠٥

١٢ـ هــذا هــو واقعنا .. !!

تحلق يوما حول جحا عدد من الشبان ، وقالــوا لــه متوسلين : حدثنا عن المستقبل .

ففكر جحا ساعة ، ثم قال : ســيأتي على الناس زمان سادته الصبيان ، واذا نعب غراب فيصفق له بوصفه البلبل، واذا نقت ضفدعة فسيسود الصــمت احتراما لما تقول من حكم .

فدهش الشبان ، وقالوا لجحا : ما هذا الكلام ؟ نحن طلبنا اليك ان تحدثنا عن المستقبل فحدثتنا عن الحاضر ..

فقال جحا : زارع القمح سيحصد قمحا حين تســطع شمس الصيف ، اما زارع الكلاب فلن يحصد الا النباح .

جريدة تشرين ـ ٣١٦

تعليق بسيط :

يقول الشاعر شوقي بغدادي :

ان الاديب العربي المعاصر « يعرف هؤلاء الخصوم ولكنه لا يجرؤ على تسميتهم وادانتهم لانهم اقوياء قادرون على قطع الايدي التي تشير اليهم بالاتهام .. واذا لم يكن الظالم شخصا بعينه فهل هو الا النظام الاجتماعي الذي يعانــي منه معظــم المواطنين على السواء وفي طليعتهم رجال الفكــر والادب ... لقد كان جديرا بمن يعلن غضبه ان يوجه هذا الغضب ضــد هذا النظام » .

١٣ـ ((الحق)) .. مجهـول مكان الاقامـة

سئل جحا يوما : اين مكان الحق ؟

فاجاب : الحق موجود،ولكنه يعاني ازمة فقدان البيوت. ولذا فهو مجهول الاقامة . ولا يمكن لاحد ان يحدد المكان الذي يسكنه .

ولقد ندم جحا فيما بعد لانه قال ما قاله اذ لا حقته تهمة الاساءة الى النهضة الاقتصادية للوطن .

جريدة النهرين – ٢٠٦



— اذا اردنا ان نعرف ماذا يجري في دمشق علينا ان نسال جلالته . فهو الوكيل المعتمد في المنطقـــة كلها مـن قبل طويل العمر كارتر .

١٤ـ مذكـرات رجـل عجـوز

فاذا تركنا الاسطورة والرمز وانتقلنا الى الواقع فماذا نرى ..

نبدا من الريف ، بعد مرور حوالي سبع سنوات من الوعود السخية التي اطلقها حافظ اسد منذ انقلاب «الحركة التصحيحية » وادعاءاته الاشتراكية الطويلة العريضة ... فبتاريخ ١٩٧٦/٩/٢ كتب الاديب فائق محمد في جريدة « الثورة » مقالا تحت عنوان « مذكرات ريفي عجوز » جاء فيه حرفيا ما يلي :

ابناء جلدتي يعرف القهر والاستغلال كيف يتوطن تحت جلودهم . في المرحلة العثمانية كان الوالي يجلس وراء طنافسة ويرسل عيونه من الفقراء والمسحوقين احرق حقولنا وذبح ابنائنا ، ونهب اللقمة من افواه اطفالنا .

لما جاء الفرنسيون لم يجدوا مشقة في شراء بعض المباعين مسبقا ، وعلى يد هؤلاء ارسيت تقاليد العين والحاجب ، وخاق الناس درجات ، ومناداة الحاكم عمنا . غب الاستقلال تحول هؤلاء الاتباع الى سلطة تشرع ، وتسن القوانين وعادت امجاد الدرك والباشوات والاغوات وكل الذين يعرفون من اين وكيف تؤكل الكتف .

وفي مراحل الاستقلال الاولى عادت النظرة الانكشارية الينا ، فنحن لسنا اكثر من مخزن لتوريد الغلال ، ولتصدير الابناء عندما يدعو الداعي .

اكره جميع اولئك الذين يفدون الى قرانا ويترجلون من سياراتهم ، ثم يبداون باتكاء جرار العسل التي ستصلنا من المشاريع والاعمال التي سينجزونها لنا .

منذ الازل واهـل قريتي ينقلون المياه على ظهور الحمير من ابار صحراوية ، فماذا تغير ؟

منذ الازل واهل قريتي يستعملون المحراث الروماني ، فماذا تغير ؟!

تغير شيء واحد ، وهو ان ابناءنا اصبحوا يكرهون عملهم، وينظرون اليه باحتقار ، واصبحوا يفضلون الجوع ،و الذل ، والكسل على العمل في حقولهم .

كنا في الماضي نواجه دوريات الدرك التي تكتفي بملء البطون ، وبما قل من البيض والسمن واللبن ، اما اليوم فهناك جيوش جرارة نهمة لا تشبع ، فهناك الاصلاح الزراعي بجميع فروعه وشعبه ، وهناك رجال الجمارك ، وهناك رجال المصالح العقارية ، وهناك رجال الشرطة .. والمصيبة في هؤلاء جميعا انهم ليسوا جائعين ، وانما يريدون فقط ان يتذوقوا خبز التنور ممزوجا بالسمن العربي ، ولا بأس اذا كان هناك — منسف — يعلوه خاروف او جدي ، او ديك — على الاقل — .

وعند الحديث يتأوه الجميع حنينا وشوقا لليالي الريف ولايامه الوديعة ، ويرسلون الاهات والحسرات حزنا على حياتهم في المدينة ، ويقسمون انه لو بقي في حياتهم ساعات فلابد ان يقضوها في الريف .

لم تتغير النظرة الى تلك البقرة في الماضي كان السادة (الكبار) يعرفون كيف يضعون القوانين لحلبها ، اما اليوم فان السادة — الجدد — يعتقدون ان حياة الريف — فولكلور — خاص ، وان هناك موائد تنزل عليه من السماء فيها جرار من العسل واللبن ، وما على الفلاح الا ان يمد يده لاستلام تلك المائدة .

اعرفهم جميعا الملل يتسرب الى نفوسهم بعد ملء البطون، وبعد ارتشاف فناجين القهوة تبدأ التساؤلات :

كيف تقضون ايامكم ؟ !

اين تسهرون ؟ واين تتنزهون ؟ هل يعقل ان تعيشوا دون ماء او كهرباء ؟

اعرفهم جميعا من بعيد يحلمون بحياة الريف ، وبنواميسه ، ويعتقدون انه الملجأ او الملاذ لنفوسهم المعذبة ، ومن قريب يتطيرون من حياته ، ومن اهله ، ومن وسائله ويسألون النفس : متى الرحيل عن هذه المحطة القاحلة ؟

ومع ذلك فان الجميع ينشدون في ساعات فراغهم « ما احلاها عيشة الفلاح » .



غوار : بتعرف تغني : « الحالة تعبانة ياليلى ؟ » وبعطيك فرنكين ؟
حسني : عالحساب نحنا صحاب .. شو ناوي تبعتني لبيت خالتي ؟

١٥ـ ايش هيك عم يصير فينـا ؟

كتب القاص جان الكسان :

يقول التقويم المعلق على الجدار اننا في الربع الاخير من القرن العشرين .. في مرحلة متقدمة من العلم اصبح معها خبر هبوط مركبة فوق المريخ خبرا عاديا اهم منه بالنسبة للمواطن عندنا خبر انهزام فريقنا لكرة القدم امام فريق السعودية ، او زيادة باص على خط المزة ، او هبوط سعر كيلو البندورة من خمسين الى اربعين قرشا ..

اقول .. نحن في هذه الحقبة من عصر السوبرنيتيك ، والعلم قد وضع حلولا لكثير من المشاكل التي تجابه الانسان ، وكذلك القوانين والانظمة والدراسات ، ومع ذلك ما نـزال عاجزين عن وضع تعرفة محددة لكزة طفل في سوق الحميدية ..وما نزال نعمد الى الشبك الحديدي العالي نثبته في منتصف الشوارع وعلى طول الارصفة على طريقة الشبك المثبـت في حدائق الحيوان ، لنمنع المواطنين من النزول الى الشـارع والمرور من غير الممرات المخصصة المشاة ، وهي في الاساس غير موجودة بشكل نظامي ..

اصبحت الحياة اليومية للمواطن العادي معاناة مريرة تبدا مع استيقاظه من النوم ولا تنتهي عندما يحاول ان يخلد الى النوم ، اذ انها تتحول الى كوابيس تنغص عليه هناءة نومه وتحرمه حتى من محاولة اكل اوقية من اللحم في الحلم حتى ان الكتاب والصحفيين الذين يتناولون هذه الامور بالتعليق بين يوم واخر ، اصبحوا لا يجهدون انفسهم في محاولة استنباط التعليقات والمفارقات ، لانها مبثوثة في الواقع باشكال لا تحصى .. في الشوارع والاسواق والمكاتب والبيوت .

من هذه المفارقات ـ مثلا ـ ان زوجة الحت على زوجها

ليذهب ـ كما يفعل الجار ابو حسام ـ الى سوق الهال ، و « يتبضع » من هناك ، فالخضار والفواكه هناك اكثر جودة واخفض سعرا ..

ومثل « ابو عقل وعقلين » صدق الزوج المسكين ادعاء زوجته ، وحمل « السلة » الى سوق الهال ليفاجأ بان البضاعة ليست اجود ، والسعر اقل بقليل من السعر الذي يدفعه للدكان القريب من بيته .. ووجد ان ما وفره في كل ما اشترى لا يزيد عن الليرتين ولكنه فوجىء بان عليه ان يستأجر سيارة لنقل المشتريات الى البيت .. بحث عن سيارة تكسي فلم يجد .. فاضطر لاستئجار شاحنة صغيرة « طرطيرة » ..

ـ بكم « التوصيلة » من سوق الهال الى المزة يا اخانا .

ـ بثماني ليرات ..

ـ ولكن تسعيرة التكسي باربع ..

ـ ولماذا لا تستأجر سيارة تكسي ؟ .

ـ سبع ليرات .. اخر كلام ..

ودفع صاحبنا الليرات السبع .. وصعد الى جانب السائق ، وانطلقت الشاحنة الصغيرة تزعق بصوتها المزعج باتجاه المزة والسائق يعلن تذمره من ارتفاع اسعار الحاجيات ومن تكاليف مدارس الاطفال :

ـ الله وكيلك .. من الصباح حتى المساء .. اركض انا وهذه الشاحنة واراني مقصرا عن المصرف ..

● بعد ان يكتب احدنا مثل هـذا الكلام .. او يقرؤه .. اليس من حقه ان يقول ، بينه وبين نفسـه على الاقل « ليش هيك عم يصير معنا ؟ .. » ..

جريدة البعث ـ ١٩٦٤

١٦ - تضربوا انتـو وهالعيشـــه

كتب الشاعر محمد الماغوط

مع انني اول من يقف بالدور على باب الفرن وامام شباك التذاكر في السينما ،واتلقى نظرات الحسد والغيرة ممن يقفون ورائي ، فانني اخذ في النتيجة اردأ خبز ، واسوأ المقاعد . هذا اذا حل دوري ولم ينضب المازوت ولم تنفذ المحلات .

واكثر ما اعاني من هذه المشكلة ، عند مواقف الباصات . فحتى عندما اكون اول من ينتظر الباص ذاهبا غاديا كأنني على موعد غرامي ، فقلما اذكر انني تمكنت من الركوب الاواقفا واذا جلست فعلى غطاء المحرك . والسبب في كل ذلك هو انني اعطي دوري للاخرين : هذه حامل ، وهذه مرضعة ، وهذا مشراني وهذا بلا ذوق . وفي اخر الامر ياتيك عجوز يدب دبيبا على عكازة وقدميه ، عليك ان تعطيه دورك وتحمله مع مايحمل فوق همومك كي يصعد الى الباص .وفي النتيجة لاارى نفسي الاوقد اغلق الباب ، ورحت اركض وراءه شاتما مزمجرا .

والمرة الوحيدة التي صعدت فيهـا الـى الباص دون تدفيش ، واحتللت مكانا دون ان يسبقني احد عليه ، حدث فيها ماهو اسوأ من الحالتين . اذ ما ان انطلق السائق لمسافة قصيرة ولف اول كوع حتى ابطأ من سرعته وصف على اليمين وطفأ المحرك معلنا انه لن يتحرك خطوة واحدة ما لم ينزل !. فقلنا له : مـن ؟

قال : الخروف ؟!

وبالفعل ماان التفتنا الى الوراء حتى فوجئنا بخروف متربع كاي واحد من الركاب في المقعد الخلفي . والمعاون يرفض مناقشة صاحبه رفضا باتا في هذا الموضوع ، ويعلن الركاب: «اسمعوا ياجماعة ،ويريد ان يقطعله هويةايضا » . وعندما

ضحك بعض الركاب قال المعاون : اضحكوا على انفسكم .
واراد ان يتابع محاضرته ولكن عندما وجد معلمه يتشاجر مع سائق باص اخر من نافذة لنافذة هرع هو ليتشاجر ايضامع المعاون في ذلك الباص دون سبب .

وبدا التذمر والتنهد بين الركاب . فاخرجت مامعي من صحف ورحت اتصفح اخر انباء الصباح لذلك اليوم حتى ينتهي الاشكال . فما كان من الخروف الا ان مد عنقه باتجاهي وكانه هو الاخر يريد ان يطلع على اخر الاخبار . ولكنه ما ان نظر الى العناوين الرئيسية ، حتى اشاح بوجهه متثائباً وكانه يقول : اما زلتم تعلكون نفس الاخبار ؟!

وعاد المعاون مكفهرا ، واصر على نزول الخروف مع صاحبه ، لان معلمه « اكل ضبطا »بسببه . وتعالت الاصوات وانقسم الركاب : ناس مع السائق ، وناس مع المعاون وناس مع الخروف ، بحيث لم يعد يسمع سوى الحوار التالي :

راكب :ولماذا هو بالذات ؟كلنا خراف بشكل او باخر .

راكب :ليتني انقلب الى خروف في مطلع هذا الشتاء المدلهم .

راكب : سعر الكنزة بمئة ليرة بدون قبة .

راكب : انالا احب الكنزات الابقية عالية . واذا لم اتمكن من شراء واحدة ، فقد اوصيت عائلتي عندما اموت .ان يكون كفني بقبة عالية .

راكب : سيأتي يوم حتى الجوارب لن تلبس فيه الا في المناسبات . . .

راكب : اتوقع قريبا ان يداوم الموظفون في مكاتبهم بالبيجامات .

راكب : والموظفات بقمصان النوم .

راكب : ياريت .

راكب : ولانقرأ في الصحف العربية الا : اسرائيل تعاني من ارتفاع الاسعار . ونحن بالله عليكم ممم نعاني ؟ من انخفاض الاسعار ؟

راكب : لاشعر ، لامسرح ، لاسينما .

راكب : لا زيت نباتي .

راكب : انت مخرب .

راكب : انت موتور .

وعندما تعالت اصوات المناقشات في الباص . وانطلقت اصوات المنبهات من حوله ... قفز الخروف فجأة الى الشارع وكأنه يقول : « تضربوا انتو وهالعيشة » .

جريدة تشرين — ٢٨٦

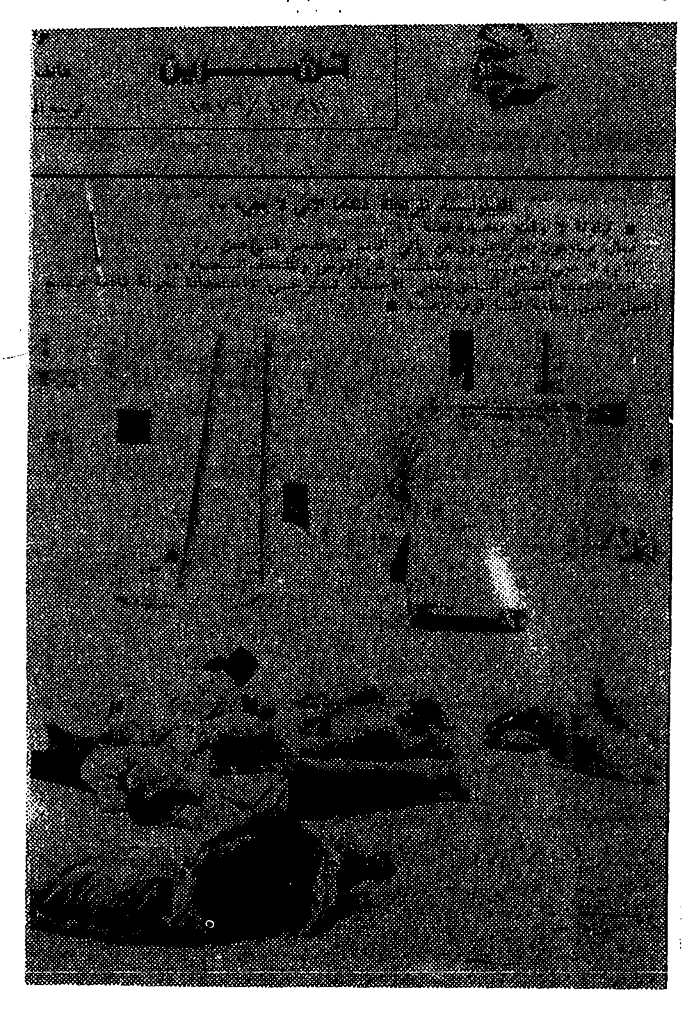
لقد برع محمد الماغوط في الكتابة الساخرة ، على طريقة «الضحك المبكي» اي على منهج الطير الذي يرقص مذبوحا من الالم .. ومن الملاحظ ، في هذا العهد الاسود ، تحول اكثر الادباء السوريين الى الكتابة الساخرة .. عن هذه الظاهرة يقول الكاتب «غين» الذي له عمود يومي في جريدة تشرين بهذا التوقيع المستعار ، مفسرا هذه الظاهرة الادبية في صحفنا :

« الفكاهة عندنا ليست عودة الى البراءة . انها تجريح ، رفض ، احتجاج .. انضحكنا مازوشي وليس ساديا . ضحكنا ضرب من العقاب الذاتي ، انه اعتراف منا باننا هزمنا وفقدنا مواقعنا .. نحن لانضحك من مصائب الاخرين . لان المصابين الاوائل هم نحن . صدقني ، نحن نثأر من انفسنا ، وننتقم من فشلنا ، الاخرون كل الاخرين ، ينجحون ويتقدمون . اما نحن المثقفين ، الملتزمين ، فنفقد موقعا بعد الاخر .. بعد هذا كيف تحرمنا من حقنا في الضحك والاضحاك ؟ » .

جريدة تشرين ٥—١١—١٩٧٦

١٧ـ صورة بالكاميرا عن بؤس العمال

ننشر فيما يلي هذه الصورة الفوتوغرافية عن «المكاسب العمالية» في عهد نظام النهب والرشوة والفساد ، كما ننشر بالزنكغراف عنوان جريدة النظام وتعليقها عليها .



كتب الاديب فواز عوض ، على لسان ابيه :

ضربوني . (شرطي يسجل الافادة) .. انا عامل في المرفا .. (الشرطي : تكلم بهدوء .. اسمك .. ثم الاحداث بالتسلسل) .. ان وكيل شركة ((ش)) ينهبنا . ياخذ ثلاثة عمال اباخرة تحتاج الى خمسة . والنقابة (حذف) . حاولت مع بعض زملائي الاعتراض (الشرطي : على من ؟) على الوكيل وعلى (حذف) . (الشرطي يتثاءب) عندها صرخ الوكيل انني مخرب . ثم هجم علي فابعدوه عني (الشرطي ينتبه : من ؟) العمال يا سيدي (الشرطي. هل يوجد شهود؟) اجل . كل زملائي يشهدون (الشرطي : اقصد حياديون ؟) لا ، لا يوجد حياديون . (الشرطي : اكمل اذن) .. ثم امام مكتب ((ش)) رايت الوكيل واقفا يبتسم اعتذر ودعاني للدخول . وحين دخلت شتموني وضربوني ورموني خارجا . (الشرطي : اسماؤهم) جميع الموظفين (الشرطي : الشاهد؟) جبيني وظهري : (الشرطي : اقصد من الناس ؟) لايوجد حياديون . (الشرطي ابصم هنا) بل اعرف ان أوقع .. (الشرطي : وقع اذن) .

يا مسؤولين .. انا عامل بروليتاري وقد ضربوني .. بورجوازيون وبيروقراطيون فهل تقبلون ؟ .. يا مسؤولين.. افتحوا الكتب واقرأوا .. الدولة آلة قمع طبقة من قبل طبقة أخرى .

جريدة البعث - ٤٢٠٦

التاريخ يشهد ان الشعوب لا تغفر لمن ينزلق ولمن يسقط في هاوية الخيانة ..

١٩ـ ماذا قال الفقراء في ليلة القدر ؟

كتب القاص زكريا تامر :

انها مدينة لها بيوتها وشوارعها وازقتها وناسها وسجونها ، ولها مقابرها التي تضم قبورا من رخام وقبورا من تراب ، ولها قططها وطيورها واشجارها وازهارها ، ولها لصوصها المحتقرون اجتماعيا ، ولها لصوصها السريون المبجلون تاريخيا ، ولها ليل وشمس ونهار وقمامة وغبار ،ولها شهداؤها الاحياء والاموات ، ولها اسوارها التي كانت تحميها من غارات الاعداء ثم أصبحت انقاضا يصورها السياح .

ولهذه المدينة ايضا اسم معين يتألف من اربعة حروف ، وسبق ان مجد قديما وبكثرة في الكتب التاريخية ، ولكن من المستحسن الآن اغفاله حفاظا على بقاء البسمة على بعض الافواه، وتجنبا لتهمة متجهمة قد تسفر عما لا تحمد عقباه ، مع ان ذلك الاسم هو اسم لمدينة يقال انها عاصمة الجمهورية العربية السورية .

وتلك المدينة كغيرها من مدن العالم يحيا فيها الكثير من الفقراء الذين ارغموا على ان ينظروا الى الحياة الدنيا على انها رحلة قصيرة وجسر موصل الى ارض خضراء لا تفنى افراحها، فعاشوا حياتهم اليومية صابرين ، مجابهين بؤسها الاسود بابتسامة مرة هازئة ، ولكن ثمة فقراء مختلفون ويتصفون بالطيش والحمق والتهور ، فهم يريدون قبل موتهم ان يعيشوا حياة سعيدة فوق تلك الارض المسماة بارض البشر . ولما كانوا قد يئسوا من الظفر بتلك الحياة السعيدة عن طريق كدهم الشخصي المتواصل ووعود اولي الامر ، فقد استقبلوا مقدم ليلة القدر المباركة بارتياح عميق ، وسهروا حتى مطلع الفجر، وتوجهوا بخشوع وتوسل الى الله الذي لا اله الا هو، الرحمن، الرحيم ، الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز،

الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، راجين بحرارة عفـــوه ورضاه ورحمته في زمن بات فيه عباده الاثرياء جشعين الى حد انهم يبتلعون السحب قبل ان تمطر ، وياكلون الدجاج قبل ان يبيض ، ويطالبون الجنين الذي لا يزال في بطن امه بدفع الاجر المناسب والا فان المحاكم منعقدة باستمرار ومستعدة لاصدار الاحكام التي تجعل من الارصفة بيوتا .

ولقد اجتمع عدد من هؤلاء الفقراء في ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ، وصلوا وتعبدوا ، وتحدثوا باصـــوات خافتة عن امنياتهم ورغباتهم .

وقال الفقير الاول : ان وضعي الفكري يخلو من الوعـــي لاني لا اقرا الجرائد ، ولكني ساصبح من قرائها المتحمسين يوم تصدر بصفحات بيضاء من غير سوء .

قال الفقير الثاني : اما انا فاريد ان اتحول الى طير لان الطيور تسكن اعشاشها في الاشجار دون اجر .

قال الفقير الثالث : لن اعرف طعم السعادة الا اذا نصبت المشانق في الساحات العامة لكل ما في البلد من سيارات ، فمـــا الفائدة من وجودها اذا كنت ابصرها ولا اركب فيها ؟!

فتعالت اصوات عديدة مستنكرة ، واتهمته بالعداء للتقدم والآلة ، وسخرت منه بوصفه من انصار الحمير ، فلم يضطرب انما تابع كلامه قائلا بهدوء : الحمير سواسية كاسنان ها ،والحمير حمير ، فلا يوجد حمار كاديلاك ، وحمار بيجو ، وحمـــــار مرسيدس .

قال الفقير الرابع : ساتزوج بعد ايام ، واحلم الا انجب اطفالا بل خرافا ، فاذا بعتها صرت كاني الوريـث الوحيـــد للمرحوم او ناسيس ، وكاني جد الســـلطان عبدالحميـــد .

واستمر الفقراء يتحدثون حتى جاءت شمس الصباح معلنـــة رحيل ليلة القدر ، وعندئذ حزنوا ، وغادروا بيوتهم قاصدين

اعمالهم ، واشتروا الجرائد ، وقرأوها ، فابلغتهم الاخبـار والمقالات ان حياتهم رائعة سعيدة ، فضحكوا ، وشكروا الجرائد دورها التثقيفي الذي خلقت لتؤديه ، والذي نبههم الى حقيقة مجهولة منسية .

جريدة تشرين ـ ٢٩١

٢٠ـ عن الطبقة الجديـدة التي خلقها النظام

كتب الشاعر محمد الماغوط :

كانت انباء مؤتمر القمة وفتنة لبنان ، والجهود المبذولة لانهائها تتردد في كل سيارة وباص في الشوارع . وامام بقالية نورا ، كانت تقف سيارة فارهة خاصـة بشـكل مخالف واستفزازي . مقدمتها داخل البقالية ومؤخرتها في منتصف الشارع ، وتعرقل السير في ثلاثة اتجاهات ، وكنا ثلاثة في تاكسي .. زمر السائق ، وصاح ، ونادى ، فلم يجبه أحـد . واخيرا خرج صاحب السيارة يتبعه صبي البقالية وهو يترنح تحت ثقل ما يحمل من صناديق البيرة والاجبان والمعلبـات واللحومات والمشهيات ، فتح صندوق السيارة بهدوء ، واغلقه بهدوء ، واستوى وراء مقوده وراح يتأمل طلعته البهية حتى صعدت زوجته ايضا وتأملت تسريحتها الوطنية في المـرآة واطمأنت اليها عند ذلك ادار محرك السيارة وانطلق بهـدوء دون ان يلتفت او يرتعش له جفن لكل الصياح والتزمير الذي كان يتعالى من ثلاثة اتجاهات ، وكان تعليق الجميع على شخصيته : ولو حتما مسؤول. في الحقيقة اذا اردنا ان نقضي على امكانية ((برجزها)) ، مثلا : انسان بسيط متواضع كل احاديثه عن العدالة والاشتراكية وهموم الشعب الكادح .اعطه سيارة خاصة ومكتبا وسائقا لينقلب هو ونمط حياته وحيام

عائلته راسا على عقب ويصير حتى اولاده في المدرسة ، يقفزون وينطون بشكل جديد ومغاير .

والغريب ان مثل هؤلاء الاشخاص سرعان ما ينشر المنصب حولهم هالة من الخوف والرهبة . فيصبح هذا الانسان الذي كان يجالس رفاقه في المقهى ، ويزاملهم في الباص والفرن والمؤسسة الاستهلاكية ، شيئا اخر بالنسبة لزملائه ومعارفه. وينظرون اليه نظرة جديدة مختلفة ، فيرون صوته غير صوت، وانفه غير انف ، ومصافحته غير مصافحة . واذا صدف والتقى باحدهم صدفة وساله عن صحته واولاده يعتبرها المواطن نعمة من نعم الله والديموقراطية . وكثيرا ما يصدف ان نكون عددا من الاصدقاء مجتمعين في مطعم او مقهى نتحدث في مثل هذه الامور بغضب وغيظ ، ونشبعها نقدا وتجريحا على مستوى الديالكتيك والمادية الجدلية وغير ذلك من التنظيرات . ولكن ما ان يطل مسؤول الى ذلك المقهى او المطعم حتى يصبح هم الشاطر فينا ان يلفت نظر هذا المسؤول الى وجوده . واذا اقترب منا لا يعرف من يدعوه ومن يقدم له الكرسي .

اذكر مرة سلم علي مسؤول في مطعم « ابو كمال » فاضطربت من راسي الى اخمص قدمي . ولم اعد اعرف كيف اتصرف ، فعندما صافحني اوقعت الصحن . وعندما ودعني قلبت الابريق .

طبعا انه احساس كاذب ومهين . ويعود الى ابعد من مطعم ابو كمال وابو جعفر المنصور . انه يرجع الى احساس الانسان العربي بانه منذ مئات السنين مازال وحيدا وخائفا وبحاجة الى ضمانة او رضى من احد ..

ثم يتساءل محمد الماغوط :

ــ ما هو الحل ؟

ــ فيجيب :

ــ لا اعرف ..

جريدة تشرين ــ ٣١٩

الاردن الشقيق ، وغيره من دول المواجهة . لا يسعني الا ان اعرب عن اعتزازي وافتخاري بما حققه القطر . وعن املي في قيام الجبهة الشرقية لمواجهة العدو الصهيوني . كما انني بالمقابل اتألم اشد الالم من توقيع اتفاقية سيناء النكسة .

وبالمناسبة سجلت منذ مدة على سيارة بيجو ٤٠٤ وعند الاستلام اكتشفت انها بدون دولات اضافي . فهل هذا يجوز؟

***

طبعا انها امور مخجلة تزحم دواوين الدوائر كل يوم. ولكن المواطن معذور في ارتكابها ، لقد سبقهُ الى ذلك ساسة البلد منذ عشرات السنين . فهم لعدم ثقتهم بما يقولون . يستخدمون الشعارات والقضايا الوطنية كمضادات . او ادوات اقناع لمستمعيهم ، وقد لقط المواطن هذه الصنعة منهم ، وبدا يمارسها عليهم(٣) .

جريدة تشرين ــ ٣٠٢

هوامش :

(١) الاصح لو قال : وتآمر نظام حافظ اسد عليها .. وتلك حقيقة تاريخية يعرفها الجميع .

(٢) بعد مؤتمري القمة في الرياض والقاهرة صارت اتفاقية سيناء عملا وطنيا في نظر اعلام النظام .

(٣) حافظ اسد يستخدم الشعارات الوطنية والقومية للكذب والدجل والتمويه .. اما شعبنا فانه سيظل يقدس هذه الشعارات ويناضل لتحقيقها .. والشعب هو الاقوى وهو المنتصر حتما .

٢٢ـ موسى بن نصير يتسول في شوارع دمشق

في شهر آب ١٩٧٦ أي في الفترة التي كان كل العرب، خارج سوريا يتساءلون غير مصدقين : « ماذا حدث لدمشق العروبة والنضال ؟ .. كيف يصبح قصر الرئاسة بدمشق مركز الرئاسة في تنفيذ اكبر خيانة قومية بتاريخ العرب الحديث ؟ .... في تلك الفترة بالذات قال الشاعر علي الجندي، في قصيدة عنوانها : موسى بن نصير يتسول في شوارع دمشق:

... يتطوح من حائط مبكى نحو الاخر ..
في احياء البلد المتقلقل ،
ثم .. يعود فينكفيء ،
ويحدق في سرداب خفاياه ،
يحدق في جوف الشارع ،
ينظر في الظل الملقى ميتا ،
يتوقف ،
يتلعثم في مشيته ،
ينتفض ،
على غصن يشبه سيفا .. ينكىء !
ـ يا .. موسى بن نصير ماذا تفعل في قلب دمشق
الكاوية وحيدا كالشبح الخاوي ؟ .
فالناس كما تعلم : بعض يغرق في النوم
وبعض ينفر للحرب ، وبعض هاجر نحو حقول الصبار
ليجني رزق الشوك .. وهذا الحر النافر
من كل الجدران ووجه الارض تجرجره الريح فما ..
ينطفىء !
... يترنح خطوات ،
يتوقف ،
يرجع للتحديق بظل ميت وبجوف الشارع ،

يجلس عند جدار هرم ،
يبسط راحته ويتمتم : « من مال الـ[illegible] » .
ــ يا .. موسى ، ماذا تفعل في هذا البلـــد الموحش
والناس يمرون بوجهك والعينين الزائغتين فما يلتفتون؟
ان عرفوك تغاضوا او جهلوك امتعضوا ، تبدو للنـاس
جنازة انسان مرمي فوق رصيف الدنيا ..
فانفر يا ... موسى ! ــ
... ينهض موسى بن نصير من قاعدته
قعدته المخزية ،
يشد بقامته ما ساعده العمر التالف ،
ويحدق قدما في لا شيء ..
يجتز من الاشجار المهزولة غصنا ويسير ،
يلوح بالغصن بهمة شاب يتقن تلويح السيف ،
يخاطب جمعا وهميا تمتمة ..
و .. يسير ، يسير ،
تباطأ خطوته ،
يتوقـف ،
تهبط قبضته بالسيف الخشبي قليلا ، ثم قليلا ،
يفقد الغصن اليابس عكازا !!
ــ يا .. موسى ، ماذاتفعل ببقايا ايامك فيهذا القيظ الشامي؟!
رائحة النهر الكان حليفك قاتلة ،
مرآة غر ابي ..
والناس تلاشوا من حولك في النوم أو الحرب او الجوع او ..
الخوف ، فلم يبق سوى ظلك ..
فانفـر ،
هل تحلم بالاتي يقبل في زي الذكرى ؟
والذكرى صارت شائكة يا موسى ..
تاتيك بزي اللص او المخبر كي تسرق نومك

او تط[illegible] بالوهم الاسى وجه نهارك والفجر

[illegible]حنـــي ..

... [illegible]ح موسى حجرا يشبه فرسا ،

يتوكا ، يستند على السيف الخشبي وينهز ممتطيا صهوته

ويلوح بالغصن رشيقا ،

يهزج ، يصرخ ،

يطعن بالغصن الريح ..

يدمدم ،

يهـــدر ،

ثـــم ...

تخف حماسته ،

يرخي راحته عن مقبض سيف يخذله ،

يتهافت فوق الحجر ويهتز

فيسمع صوت نشيج مكتوم ! .

(.. وقيل بان القائد موسى صار يهلوس بالشعر يحوم حول قصور الامراء واشباه الامراء ، ويساوم كل الحراس ليدخـل كي يقرأ بين يدي مولاهم شعرا في المدح وفي هجو الشعر) .

ينهره الحراس وتنبحه من طرفي شارع بلدته المعشوقـة كل كلاب الليل ...

نسي الفارس كيف يلوح بالاسلحة فيلقي الرعب بقلـب الاعداء .

نسي القائد اوهاما ناصعة

صار يلوح بالكلمات ! ..

... وتحامل موسى حتى ينهض من غفوته ،

سار وسار وحيدا تحت الشمس الحارقـة

اجتاز شوارع بلدته الواسعة ...

تـوقف ،

تابع سيرا مرتبكا ،

أسند للحائط ظهرا محنيا ،
أغمض عينيه ليبكى او يتذكر ،
فجـــاه :
سمع حواليه لغطا ، وقع خطى مهووسا ،
فتح عينيه على وسعهما ..
فبدت فوق القسمات المقتولة بسمة فرح أو دهشة ،
اطفال ونساء وشيوخ تحدب اعينهم وهي تحدق فيه عليه ،
جمع من بشر في اسمال بالية وعيون متعبة اوجه ناس طيبـة
تنظر للشيخ المتماسك في عطف ،
تنتظر قيامته واشارة بدء مهما كانت وانية ..
ـ .. هل هذا حلم ؟
ـ انفر يا موسى ..
ـ اين انا ؟ اين مضت بي قدماي اليوم ؟
ـ يا موسى ، ها انت وصلت الى حي المنبوذين الجوعى المقهورين ..
اقرا يا .. موسى :
ـ اقرا ماذا ؟ اني لا اتقن الا لغة السيف !
ـ اقرا بالسيف ، اقرا بالسيف ،
اقرا بالسيف ...
... وتامل موسى بن نصير من خلل الدمع الساطع والنظـر الواهن قسمات تفصح عن احرف تاريخ يولد ،
هلـل ،
ثم تناول قرآن الاوجه ..
و .. ابتدا تلاوة آيات من مصحفه الاتي ...

٢٣ـ لا حافظا عهـدا ولا أسـدا

يا قائـدَ المسيره
لك الفخارُ قدْتهـا من ظَفَـرٍ الى ظَفَرْ
الى الرياضِ مرةً ، وتارةً الى قَطَرْ
اوردتَ خيلكَ الـكويتَ ،
سُقتها الى القمرْ

فتحت بيروتاً بها ، بها تقحّمتَ الخطـر
بلغت لاهوراً بهـا على حصانٍ من قَدَرْ
قتلتَ ، دمّرتَ ، وهـدّمتَ ،
سفحتَ الدمَ ، قطّعتَ الشجرْ !
حتى انحنت أمام ما تريده امريكا
وعزفتْ على أسماكَ الرنان يا اسـد
مواكبُ المزّيكا .
يا باركَ الربُ العليُ فيكا
حين طلبناكَ من الرحمن عوناً وسـندْ
سلّمكَ اللهُ لنا ، جئتَ من الله مددْ .
مددْ

يا قائـد المسيره
يُقال إن المستقيمَ اقصرُ الخطوطِ بين نقطتين
وانت كذّبتَ جميعَ علماءِ الهندسةْ
يا حافظَ الاسد .
انهيتَ كل الوهم ، كل الغطرسه
إثبتَّ ان واحداً وواحداً ليست تساوي اثنين
برهنتَ ان المستقيمَ اطول الخطوطِ

وان اقصرَ الخطوط في الكُرهْ
هي الخطوط العُوجُ والمنكسره
وان اقربَ الشطوط ابعدُ الشطوط
وان دبسَ بعابكَّ يُشترى من أنقره
وان عيسى قاتلُ الحسينْ
وان بين سعسع واللــد
مسافةً ابعدُ مما بينها والهند .
حتى انحنت امام ما تريده امريكا
يا حافظ الاسد .
وعزفْتَ على اسماكَ المزّيكا
يا باركَ الربُ العليُ فيكا
حين طلبناك من الله سند
سلمك الله انمـا جئت من الله مَـدَدْ
مدد

يا قائد المسيره
يا من جعلت الشام رزقاً خيّراً وميرهْ
للاهل والعُصبة والعشيره
حررت من احرارها الشامَ ، ومن احلامها البغيضة
أدّبتَ بيروتاً وقتلت بها المقاومه
وهكذا فتحتَ باب الصلح والمساومه
دعك من المعارضين الصارخين ، لا
يا حافظ الاسد
فليس من يقول لا مثلَ الذي قال بلى

جنيفُ بعدُ وحدَها العاصية المستعصية

فان فتحتَها لنا حققت كل الامنيه

دخلت للتاريخ من أبوابه العريضه

حررتَ ارضَ العُرْبِ من احلامها المريضة

يا بطل الابطال يا اسد

يا فاتحاً بيروتَ والشامَ معاً

يا حافظَ الاسد

قد انحنت امام ما تريده أمْريكا

وعزفت على اسمك المزيكا

يا بارك الرب العلي فيكا

يا حافظ الاسد

حين طلبناك من الله سند

سلمك الله لنا جئت من الله مَدَدْ

مدد

** تجد اسرائيل مبررا اكثر من
اي دولة اخرى للشعور بالارتياح ازاء
المأساة اللبنانية - اذ ان القوات
السورية وهي تضرب الفلسطينيين تبدو
وكأنها من نسج الخيال !
«الصنداي تايمز - ٧/٤»



٢٤- الذين انتظروا الفرج على يد حافظ اسد

« لا امل لكم ايها المنتظرون على متكأ من الوقت الذي يجيء .
لا امل لكم ما دام البرق صار خروفا ،
وريح الشمال صارت غبارا ،
والحروب افلاما ،
ارتدوا للسهرة مرة ظهوركم وقلوبكم .
بدلا من تلك الانحناءة وقوفا ،
والسجدة جلوسا ،
والغفو - في الحضرة - ركوعا .
فأمامكم الموت ، وامامكم الامال .
فانتفضوا لتختاروا الامال
او ارتدوا للسهرة انحناءاتكم،ليختاركم - وانتم تتقدمون - الموت » .

هذه العبارات الادبية البليغة ليست قصيدة شعرية ، وانما هي مقطع من مقالة ادبية نشرتها زميلتنا « البعث » بتاريخ ١٦-٥-١٩٧٦ تحت عنوان « انتظار » .. والواقع ان على شعبنا في هذا القطر المبتلى بكابوس الدكتاتورية الخانقة ، ان يمنح كاتب هذا المقال - وهو الاستاذ عادل محمود - ارفع وسام ادبي عندما يقوم الشعب بثورته الحتمية المنتظرة ، ذلك لان هذا الكاتب المبدع ، استطاع ببراعة مذهلة ان يعبر باسلوب رمزي بليغ عن محنة خيبة الامل بحافظ اسد ..

ولكن ، بما ان الجمهور لا يطالع جريدة « البعث » ، للاسباب المعروفة ، فاننا وجدنا من المصلحة الوطنية والقومية اعادة نشر هذا المقال كاملا ، دون ان نضيف اليه اي شرح او تعليق . لاننا واثقون من ذكاء ابناء شعبنا وقدرتهم العجيبة على التفاهم بلغة الرموز والاشارات .

وقال الاستاذ عادل محمود . بالنص الكامل حرفيا :

« وقف رجل في مكان ما ، في الشارع ، أو البيت ، أو الحديقة ، أو الخندق ، ينتظر حبيبته ، أو صديقه ، العدل، الحنان ، والمستقبل اللذيذ ...

انتظر يوما ، شهرا ، سنوات مجيء واحدة من هذه الامنيات الطيبة ، اثنتين منها ، كلها .. لكن شيئا لم يحدث طوال هذه المدة ، والرجل واقف بثبات في مكان من هذه الارض ،عيناه في الافق ، وقلبه رسالة .

جاءت الاعياد . جاءت الاحزان . مات الملك . عاش الملك . قصرت فساتين الرجال . طالت بناطيل النساء . وشابت البنايات المجاورة وحارس الحديقة . وذقن « الرجل» المنتظر مجيء السلة التي تحمل شيئا ما ، أمنية . اثنتان، أو كل الاماني .. لكن شيئا لم يحدث طوال المدة . وابتدا العنكبوت يحيك الخيط الاول من فمه الصغير حول «الرجل» بادئا بالهدف الاعلى من عينه اليسرى . وكان العنكبوت يتسلى ببعض الحركات والاغاني ، وهو يبني قصره الكبير في اطرف بقعة في هذا العالم .

لا امل لكم ايها المنتظرون على منكا من الوقت الذي يجيء. لا أمل لكم ما دام البرق صار خروفا . وريح الشمال صارت غبارا . والحروب افلاما . ارتدوا للسهرة مرةظهوركم وقلوبكم، بدلا من تلك الانحناءة وقوفا ، والسجدة جلوسا ، والغفوة - في الحضرة - ركوعا . فامامكم الموت ، وامامكم الامال . فانتفضوا لتختاروا البنطال .. او ارتدوا للسهرة انحناءاتكم ليختاركم - وانتم تتقدمون - الموت .

وكان « الرجل » المنتظر في مكان ما لا يسمع . لان العنكبوت اختار الاذنين فبنى شرفتين فيهما لتدخين الفليون

عند المساء . وكان الصوت ضعيفا يتوارى ، يوما اثر يوم ، حتى صار صدى .. ثم تلاشى .

تعب الرجل بعد عشرين سنة او اكثر من الوقوف . تيبست اطرافه واصيب بالنقرس ووجع المفاصل ، وضعف بصره . فاسود الافق ، وصارت الامنيات ــ في مدى الغروب واليأس ــ اشباحا كالضفادع .. لم تأت الحبيبة . لم يأت الصديق ولا العدل ولا المستقبل اللذيذ . وصار العالم خلف العنكبوت وضعف البصر عكازتين من القصب تستندان على مخلوق نحيل .

الرجل العجوز انتفض كما يفعل رجل يفقد الامل . لكنه لم يستطع . حتى ذراعاه لم يتحركا . فقد كان العنكبوت قد استبدل خيوطه النحيلة المتموجة باسلاك من النحاس . وكان العجوز ضعيفا . الا انه رأى ، فيما رأى ، بضعة اشخاص يمضون في الشارع بلا مرح ، وهم مثقلون باقفاص نسجت خيوطها من النحاس .. فاغمض عينيه ومات .

سؤال : لماذا لا ينتظر الرجال وهم يشبون ؟)) ..

انتهى النص الكامل لهذه الوثيقة الادبية الرائعة التي تصف مدى يأس الناس الذين كانوا مخدوعين بوعودات حافظ اسد ... وملاحظتنا الوحيدة عليها ان اليأس بلغ بكاتبها حدا جعله ييأس حتى من الشعب نفسه .. اذن سؤال: أالى هذا الحد بلغت « ايديولوجيا » صحفيي النظام ؟ .

اننا ــ يا اخواننا العرب في كل مكان ــ نحب ان نؤكد لكم قبل كل شيء بان سورية ليست حافظ اسد ، وانما سورية كلها ضد هذا الحاكم الارهابي الخائن ...


ياه.. كنت أتصور نفسي أكبر كذاب طلعت إنت أكذب بكتير مني
مسيلمة

الى الذين غشتهم سياسة انفتاح نظام الاسد على الاقتصاد الاميركي .. والى الذين غشتهم مظاهر الثروة الكاذبة .. والى الذين نسوا ان السياسة الاميركية حين دخلت فيتنام الجنوبية حولتها الى ماخور كبير .. والى الذين تناسوا ان الاستعمار لا يهمه الا النهب واستمرار التخلف . الى هؤلاء نقدم بعض ما كتبه الشاعر محمد عمران ، تحت ستار الحديث عن فيلم اجنبي .. قال :

لا احد يعرف من اين جاء الدم الى الشارع . ولا احد يعرف من اين البول جاء . ثمة ، في المشهد الاخير من الفيلم ، رجل ، بملامح اميركية ، يحمل حقيبة سوداء . لا احد ، ايضا ، يعرف كيف هذا الرجل دخل المدينة . هوذا ، امام سيل الدم والبول ، يمشي . يداه بالحقيبة ، تلوحان لاهل المدينة ان يتبعوه .

في ضاحية المدينة ــ التي لا اسم لها ، التي يتخذها المخرج رمزا لمدن الاستهلاك الغربية ــ يتجمع السيل .. يصير مستنقعا بحجم بحيرة ، ثم بحيرة مستنقعية بحجم بحر ... بحيرة من دم وبول وقذارة ... حمراء ، صفراء ، متداخلة الالوان ...

يضع الرجل ذو الحقيبة قدميه في الطمى ، ويغوص ... تغوص قدماه اولا ، ثم ساقاه ، ثم جسده حتى العنق . ويصير وسط البحيرة . يفتح الحقيبة ، وعلى السطح المستنقعي المتموج ، ذي الالوان المتداخلة ، تطفو ، مثل اوراق شجرة ضخمة ، ملايين القطع النقدية ...

حول البحيرة ــ المستنقع يقف ، في احتشاد تظاهري ، اهل المدينة . الثياب زاهية مكوية ، الياقات بيضاء ، الاحذية

لامعة ، والقبعات نظيفة ... انهم ، كما يشي مظهرهم ، رجال اعمال وصناعيون كبار ...

... في اعينهم المشدودة بقوس الرغبة تتوهج الالوان ، وتتماوج اليد التي تنثر المال ، مثل شراع يغري . في البدء يترددون . لم يبدأ الزحف .. هبوطا ، هبوطا ، هبوطا ... فاذا المدينة كلها ، باناقتها ، بوقار مظهرها ، تصطرع داخل المستنقع ثم لا تعود ترى سوى غابات من الايدي تتنازع اوراق النقد التي راحت تتناسل ذرية هائلة على سطح المستنقع.

تهبط الستارة ، والرجل ذو الحقيبة ملء شفتيه يضحك ...

الدم والبول : القتل والقذارة ، لكي يمسك المجتمع بالدولار ، ينبغي ان يغوص في مستنقع من الجريمة والسقوط. للدولار ، اذن ، ثمن . وثمنه كرامة الانسان . كرامته أو حياته .

ان مجتمع الراسمال ذاته ، هو مجتمع جشع .. والجشع لا كرامة له . هذا البريق الخارجي ، هذا اللمعان وهذه الاناقة، ينبغي ان لا ينخدع به احد . ان تحت الثياب سقوطا انسانيا فظيعا ...

جريدة الثورة - ١٩٨٤

٢٦ـ أين نحـن من حياة الناس في الخـارج

كتب الروائي هاني الراهب :

كانت الزفرات الصابرة ونافذة الصبر تندفع امـام الوجوه المنتظرة . فهناهنا رتل طويل يبدا امام الفرن وينتهي على بعد مئة متر . وكانت فرحة صغيرة تدخل القلوب كلمـا تقدمت ارجل الواقفين خطوة واحدة . فجأة اعلن المذيع مـن احـدى المحطات ان الامم المتحدة تحتفل اليوم بعيد ميلادها الحادي والثلاثين ، وخرج احدهم من باب المخبز وهو يتصبب عرقا فلسعته الريح البليلة بالمطر ، ولسعت يديه حرارة الخبز الكـاوية .

هناك من تفقع مرارتهم للحصول على الخبز ، وهنـــاك من لا يحصلون على الخبز ابدا . وهناك من يموتون جـوعـا، ولاسباب اخرى افدح من الجوع .

هناك الاكواخ الكرتونية والمعدنية ، والمخيمـــات التـي تسفيها الريح . وهناك بيوت الطين والبق ، ومساكن شيدت من سعف النخيل ليسكنها الناس والافاعي .

وهناك موظفون تدلف فوقهم السقوف في الشتاء ، وتمتلىء خياشيمهم بالغبار في الصيف . موظفون مرقعو الثياب ، مهترئو العيش ، مضطرون البس ربطة عنق ، والتلميع احذيتهم . وهناك موظفون يحتارون في اية ربطة ينتقون واي حذاء ، ويقبضون رواتبهم من ((..........؟!))

جريدة الثورة ـ ١٩٧٤

تعليق بسيط :

كتب الدكتور حافظ الجمالي :

لابد أن يكون انساننا ، ككل الآخرين ، قادرا على صناعة التقدم والتألق والامعان في الحضارة . من الذي جعله ينحدر

ويتخلف ويتمزق ؛ وتهن قواه وتخور عزيمته ويرتد الى هذا الدرك من البؤس ؟

الحقيقة ان الشروط الاجتماعية المحيطة بهذا الانسان ، التي ظلت خلال قرون طويلة على ما هي عليه وملأت قلبه بالخوف وضيقت عليه دائرة الطموح . و « ضيعته » بالمعنى الماركسي لهذه الكلمة ، هي التي جعلت منه انسان التخلف لا انسان الحضارة . ولعل هنالك «ثوابت» او عناصر اجتماعية مؤلمة كالظلم والاستبداد وفقدان الحرية والخوف وفقدان الطمأنينة . وارتقاء الادنى الى الاعلى ، وهبوط الاعلى الى الادنى . هي التي جعلت انساننا يتخلف مرغما فاذا تقدم كان ذلك اعجوبة ..

جريدة البعث - ٤٢.٥



٢٧ - رجل صدق اشتراكية مسيامة

قال الشاعر محمد الماغوط :

انه لامر عجيب ومحير حقا !!

في الدول الراسمالية يكافحون الغلاء برفع الاجور .

وفي الدول الاشتراكية بتثبيت الاسعار .

وعندنا لانرفع الاجور ، ولا نثبت الاسعار فكيف يعيش المواطن ؟ على الهواء النقي وركوب الخيل كالمعمرين الروس ؟

من يصدق ان كيلو الموز الصومالي في المانيا الغربية بليرة وربع وعندنا بثلاث ليرات الا ربع . وان اجرة الشقة في ضواحي باريس ارخص منها في ضواحي جوبر والزبلطاني ؟ وانك تقطع نصف موسكو بالتاكسي باقل من ليرة وهنا لاتستطيع ان تقطع من شارع الى شارع بثلاثة اضعاف هذا المبلغ .

فاذا كان المواطن لايستطيع ان يأكل اذا كان جائعا .

او ان يعالج اذا كان مريضا .

او ان يلبس اذا كان عاريا .

او ان يتعلم اذا كان اميا .

بل لايستطيع ان يؤمن حتى رغيفه الا بالرجاء والتوسلات . فأي فرق إذن بينه وبين اي لاجيء او نازح عن وطنه ؟؟

بصراحة : نحن الفقراء ، ذوو الدخل المحدود وفي مواجهة التجار والسماسرة والمتعهدين والوسطاء ومن يحميهم او يتستر عليهم ، لم يعد ينقصنا سوى « خيام ، ووكالة غوث ، ومنظمة تحرير وتدخل سوري مباشر لانقاذنا » !

جريدة تشرين - ٣١٧

إن كل تساؤلات محمد الماغوط كانت ستجد تفسيرها

واسبابها لو انه أشار صراحة إلى الذي يحمي هذه المافيا ويتستر عليها .. وهو يعرف طبعا ان هذا الحامي هو حافظ ورفعت الأسد وزمرتهما ممن لم يبق في بلدنا مواطن الا ويعرف أن لهم حصة الاسد من كل واقعة نهب اقتصادي في البلاد .



٣٨ـ لا تسألني أين كنا .. أين أصبحنا .. وكيفا

كتب زكريا تامر :

كان المواطنون قديما ينتظرون مجيء عيد الفطر وعيد الاضحى بلهفة لانهما كانا قادرين على ان يمنحا المسرات الكبار والصغار والفقراء والاغنياء دون تفريق او تمييز . فما ان يقبل اول يوم من ايام العيد حتى يهرع الناس في الصباح الباكر الى المقابر ، ويضعون الآس والورد على القبور ، ويبتهلون الى الله جل جلاله ان يغفر لموتاهم ذنوبهم ويسكنهم فسيح جنانه . ولكنهم في هذا العيد اذا قصدوا المقابر فانهم سيحدقون الى القبور بنظرات لا تخلو من الغيرة .

وكانت الخراف أيام زمان تنحر بكثرة ، وتوزع لحومها مجانا على المعوزين ، ولكن الخراف في هذا العيد الوشيك على القدوم قد تذبح للمواطنين ولا توزع لحومهم مجانا على المساكين بل ستقدم على بيعها متقيدة بالسعر المحدد من قبل الجهة الرسمية المختصة . وكان المواطنون في ايام الاعياد يتبادلون الزيارات . ويتبارون في تقديم الحلويات والفواكه والقهوة المرة . ولكنهم في هذا العيد مضطرون حتما الى تغيير عاداتهم . فالحلويات والفواكه ، ان تقدم ، وسيستعاض عنها بالحديث عن مساوئها الصحية . كما ان القهوة قد لا تقدم ايضا وتستبدل بأكواب من الماء القراح اذا كانت مؤسسة مياه عين الفيجة لم تمنح مياهها الاجازة التي تستحقها بوصفها من العاملين في جهاز حكومي . ولكن من المحتمل ان تلغى تلك الزيارات نهائيا . فانتقال مواطن من حارته الى حارة اخرى بعيدة بواسطة الباصات وما شابهها تحتاج الى صبر ايوب وعضلات كلاي وشجاعة خالد بن الوليد . وكان مقدم الاعياد في

غابر الازمان فرصة لارتداء الثياب الجديدة ، ولكن العيد الحالي سيغدون مناسبة لارتداء تلك الثياب التاريخية التي يقال انها كانت جديدة قبل نكسة حزيران . ولابد من ان المواطنين الكبار السن حاليا ، والذين كانوا فيما مضى من الاعوام اطفالا ، يتذكرون الاعياد القديمة بقلوب خافقة وعيون توشك ان تذرف الدموع حنينا وحسرة واسفا اذ كانوا يقصدون آنذاك ، ساحة واسعة مكتظة بكل مايسر الصغار . كانت الاراجيح المحملة بالاطفال تصعد عاليا يمنة ويسرة دون ان يخشى راكبوها ان يتهموا انهم يمينيون او يساريون . وكانت العربات التي تجرها الجياد تزين وكانها العرائس ، فيركب فيها الصغار بعد ان يدفعوا الاجر ، وحين تنطلق عربة ما في الطرقات يصيح سائقها : ياولاد محارب ، فيرد الصغار بحماسة ونشوة: يو .. يو .. فيصرخ السائق بلهجة عتاب : مااكو سامع فيضحك الاطفال وتشتد حماستهم ويصيحون باصوات اقوى : يو .. يو .

وكانت ثمة خيام متناثرة على ارض تلك الساحة ، وكل خيمة تتضمن مايغري بدخولها ، فخيمة في جوفها ضبع مقيد بسلسلة ، وعلى بابها يصيح رجل مناديا الصغار قائلا لهم : تعالوا تفرجوا على الضبع الذي اكل الحلاوى على طريق جوبر .

ولكن الضبع الان اختفى ، واذا ظهر على طريق جوبر فان مصيره سيكون محزنا ، وستنصب خيمة يصيح على بابها رجل قائلا للصغار : تعالوا تفرجوا على بائع الحلاوى الذي اكل الضبع على طريق جوبر .

وثمة خيمة ثانية يقف عند بابها رجلان ، احدهما طويل، عريض ، شبه عار ، منتفخ العضلات ، والثاني يشير اليه مخاطبا الصغار المحلقين بدهشة : هذا شمشون

جبار .. اقوى رجل في العالم .. يلوي الحديد ..
يكسر الصخر .. يرفع عشرة كراسي وطاولة بأسنانه .
وها هو ذا شمشون قد توارى منذ سنوات كثيرة ، وكف
عن الظهور في ايام الاعياد ، ولابد انه يستخدم قوته الان
لشراء بضعة ارغفة من فرن .

وهنا خيمة ثالثة تقدم ساحرا يخرج من فمه عشرات
المناديل الملونة وعددا لايحصى من البيض ، ومن المؤكد
ان السبب الذي جعله يهجر جماهيره هو غلاء اسعار
البيض ، فتحول الى بائع ناجح البيض ، لايوافق على
مخاطبة مواطن الا اذا قدم طلبا الصقت عليه الطوابع ..

ولكن الواقع لراهن الاعياد اذا كان لايشتمل على مايفرح ذلك
الانسان المسمى بالمواطن ، فهو واقع ان يستمر بل
سيتبدل فالمستقبل الاتي سيقضي لامحالة على البؤس
والبائسين ، ويصدر أمراً بالفرح ، فلا يجرؤ احد على
العصيان ، وتتحول الايام كافة الى اعياد تتوالى كطلقات
مسدس تحمله يد مجنون .

جريدة تشرين — ٢٩٣

عاش تلاحم كل ابناء شعبنا يدا واحدة وقوة واحدة
في النضال الوطني لاستعادة هوية سوريا العربية
التحررية .


● حمار افندي ●
ـ مادام صحيح بيت الاسد كان اسمهم بيت الجحش
اذن انا بيطلع لي حصة مـن هالثروات الخيالية .

٢٩ـ تعذيب الشعب كله دفعة واحدة

كتب الأديب عادل محمود :

كان الحمام مليئا بالرجال العراة الفرحين بخلاصهم من القذارة . النشف ، والخدمة والجو العابق ، والثرثرة ، كلها في جو يشبه الانتشار العائلي في اركان منزل مدفأ وقديم .

فجأة يتحول ماء الحنفيات الى درجة الغليان . البارد منها والساخن وتنسلق الاجساد ويصرخ الرجال ويدقون بالطاسات .

يأتي صاحب الحمام ويعتذر . وتعود المياه دافئـــة ولذيذة وينسى الجميع في استرخائهم العلقة الساخنة .

ثم فجأة يتحول ماء الحنفيات جميعا الى ماء مـــن البرادات . فيوحوح الجميع ويصرخون ، ويدقون بالطاسات . ثم .. صاحب الحمام واعتذار .

تكررت هذه المناوبة عشرين مرة ، خلال جلسة استحمام واحدة ، وتكرر الصراخ ، والاحتجاج واعتذار صاحب الحمام ، وشروحاته الطويلة والقصيرة التبرير والتسويغ .

في هذه الحالة الاستثنائية ، التي صارت قاعدة ما الذي يمكن المستحمين ، وهم عراة ، أن يفعلوا بهذا البارد الساخن والساخن البارد ؟ ماذا يمكن ان يفعلوا بصاحب الحمام الدمث واللطيف والمعتذر والمبرر الحامل بيده ثلجا وبالاخرى جمرا ؟

جريدة البعث ــ ٤٢٠٣

تعليق بسيط :

كتب الدكتور حافظ الجمالي مقالا طويلا تحت عنوان « العفو عن الشعب » اختتمه بالاسترحام التالي الموجه . دون نص صريح . إلى طاغية دمشق الارعن .

هب أن هذا الشعب مجرم كبير لا يحسن الا اقتراف الذنوب ، وانتهاك الحرمات ، افلا تكفي هذه القرون الاربعة عشر لاطلاق سبيله ، وتحريره من القيود والاصفاد ، والانعام عليه بفيء من الظل ، وقليل من الخضرة ، وشيء من الفرح بنفسه وبالحياة ..

والانكى من ذلك انه مامن عاقل واع يتنبأ بمستقبل اقل بؤسا من الماضي ، او أدعى الى الفرح والابتهاج . كل مانراه غيوم سوداء ، تتجمع في الافق ، وتنذر باكبر العواصف ، واحداث الايام .

ولئن كنا لاندلك من الاقدار شيئا ، ونخضع ، مرغمين ، لارادة الخصوم ، والغرباء ، والاعداء التاريخيين افلا نملك على الاقل ، ان ندفع عن انفسنا المصائب التي تصنعها ايدينا ، ونقترفها بارادتنا ، فلا نبقى ذلا الا اتقلنا به القلوب ، ولا استقرارا من اي نوع الا انتزعناه بايدينا من اعماق النفوس.أولا نرى كذلك ان اكثر مصائبنا الخارجية ، انما تنشأ عن فوضى تصرفاتنا الذاتية ؟ وبكلمة واحدة ، اما ان لنا ان نعفو عن هذا الشعب ، أم ترانا قد حكمنا عليه بالحزن المؤبد ، انكون نحن والاقدار عليه ؟

جريدة البعث ١٩٩٤

٣٠ـ الشعراء .. لا موت جوعا !!

قال الكاتب محمد عمران :

في حديث طويل مع اديب اجنبي ، وضع بين يدي هذا السؤال : « ماهو الوضع الاجتماعي للشاعر في وطنكم ؟ » وعاني : « ارجو ان لا يكون في ذلك احراج » . لم احرج . ولكني لم اجب كما ينبغي ، قفز الى ذهني فجأة مثال الشاعر نديم محمد . وقفزت امثلة اخرى كثيرة . وخجلت . وقلت اخيرا : « لا بأس ! ان الشاعر العربي لا يموت جوعا . » ثم اضفت : « هذه حالنا . ان لنا ظروفا صعبة ، والشاعر اكثر من يدرك قساوة هذه الظروف » .

جريدة الثورة ــ ١٩٢ (

لكن محمد عمران لم يشرح للاديب الاجنبي حالة الشاعر نديم محمد ، المتروك على فراش المرض منذ اكثر من ثلاث سنوات ، دون أية رعاية او مداواة ، لانه رفض أن يسخر شعره في تمجيد خيانات حافظ أسد ...

كما أن محمد عمران لم يوضح ماهي «الظروف الصعبة» التي يدركها الشعراء اكثر من غيرهم .

❊ ❊ ❊

تعليق بسيط :

قالت جريدة « تشرين » إن ثمة قاموساً جديداً فيه تعريف الكاتب على النحو التالي : « الكاتب هو بشكير من النوع الفاخر تستخدمه الحكومات والانظمة والايديولوجيات لتمسيح عرقها، وتنشيف اياديها ، وربطه حول العنق اثناء تناول الطعام . وحينما يتبلل اكثر من اللازم ، او يقرمد بما فيه الكفاية ، يرمى لا في سلة الغسيل ــ اذ لا فائدة من غسله ــ وانما في سلة المهملات . » وفي نهاية التعريف هذا الاستدراك :.« يمكن

للكاتب المبدع ــ اذا شاء ــ أن يكون فوطة حمام ، وحينئذ تنحصر مهمته في ستر العورة ، واخفاء بعض الزوائد الشحمية كالكرش مثلا .. » ثم هذا الهامش : « إن هذا الصنف من المخلوقات هو اكثرها تعرضا للامراض النفسية ، والاضطهاد والاجراءات التعسفية والالم والقلق والجوع والتشرد . »

٣١ــ اصبحوا يشتهون الموت

قال الشاعر ممدوح عدوان :

لماذا نتفق الاهتمام بالادباء حين يموتون ولا نعرف كيف نرى الاحياء منهم ؟ إنها دلالة مفزعة أن يموت الاديب جوعاً أو أن يعجز عن مداواة نفسه أو مداواة أطفاله طالما أنه حي .

هل يجب ان يموت نديم محمد مثلا ، حتى يتذكر الناس ــ والمسؤولين بينهم ــ انه شاعر مبدع من جيل ماقبل الحداثة ؟ وهل من المنطق ان يبقى طريح فراشه سنوات عديدة دون ان يسمع به احد ويهتم به احد الا اهتمامات صغيرة بين الحين والحين ليست اكثر من رفع عتب .

لن اذكر هنا الا نديم محمد علما ان امثاله كثيرون الان وامثاله اكثر غدا .. طالما ان الزمن يتقدم بنا بطريقة فذة تجعل المحتاجين الى الرعاية والعناية اكثر من القادرين على تقديمها والراغبين فيها .

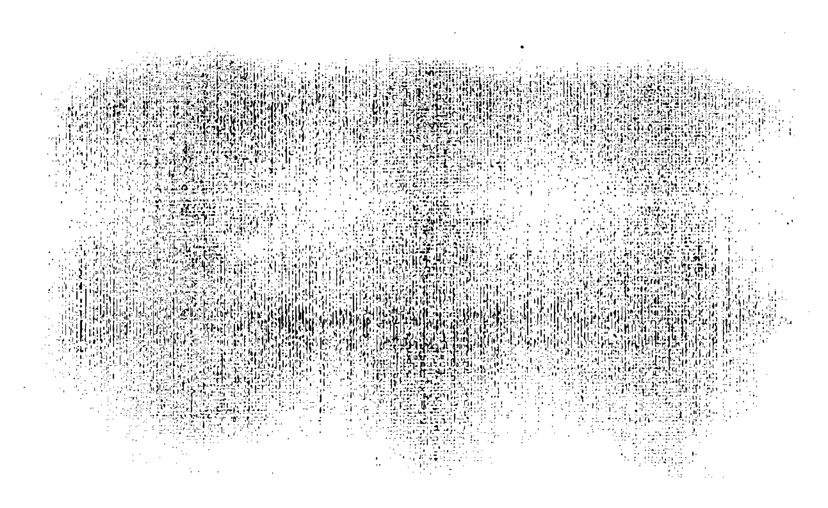
كم من اديب في هذا الوطن يبصق دما بحثا عن اللقمة الكريمة ولا احد يهتم به ، ويسعى ليل نهار لكي يبدع ويستمر في عطائه ولا احد يسمع به .. ثم يموت واذا بالجميع يكتشفون في انفسهم حب ادبه والرغبة في رعايته .

كم من اديب مخنوق بصمت لايسمع انينه احد في الوقت الذي نعقد فيه الاف المؤتمرات التي تدافع عن حرية الاديب

وحقه في التعبير الحر وحقه في الحياة اللائقة ـ ان لم نقل مزاوجين الحياة الكريمة .

مزيدا من التوصيات ومزيدا من الكلام النظري من الدموع على الموتى .. والى الادباء مزيدا من اشتهاء الموت .

جريدة الثورة ـ ١٩٣٤



ياجماهير بلدنا سورية العربية المناضلة .

ان هذا النظام الذي لم يفعل شيئا من اجل تحرير الجولان .. يزج اليوم بالالاف من ابنائكم البررة مغررا بهم في اقذر عدوان على الجماهير في لبنان ضد الثورة الفلسطينية .. من اجل ارضاء الامبريالية والصهيونية والرجعية اليمينية الفاشية الغادرة .. وامرار اخطر حلقات مخطط التسوية الامبريالية على جماجم ودماء واشلاء اشقائكم المدافعين عن كرامتهم الوطنية وعن وجودهم .

٣٢ـ لماذا خلقني الله كاتبا ؟

كتب القاص عادل ابوشنب :

. لماذا خلقه الله كاتبا ، يفصل غير مايلبس ، ويبيع ما لا يباع ، ويشتري ما لا قيمة له . يستخدم خياله عندما يتطلب الموقف ان يستخدم الواقع ، ويزور الواقع .. اذ ينبغي أن يقول الحقيقة ، ويسود عشرات الصفحات ليقنع قراءه بالذي لايقنع . ويجعل الممكن مستحيلا والمستحيل ممكنا ؟ أهو كاتب فعلا ، بهذه الصيغة ، ام هو شيء آخر ؟ وهل يتساوى الكاتب الذي على شاكلته ، بالكاتب الذي لايساوم ولا يتنازل ولا يجعل الاسود ابيض ؟ وهل في الدنيا كلها كاتب له مثل هذه الصفات؟

كان السؤال يفرز سؤالا اخر ، وكان يشعر ، وهو يجلس الى مكتبه ، بانه ضئيل .. وعندما امسك ، بالقلم ليكتب ، خيل اليه انه يحمل سكينا ، مثله مثل لحام جلف ، وخيل اليه ، بالعجب انه يكشط جسدا ممددا على مكتبه ، ويمضي ليقطعه اربا اربا .. وعندما امعن النظر الى الجسد الممدد وجد انه جسده ..

عندئذ انتابه الفزع ، والقى القلم ، السكين .. بعيدا !

جريدة تشرين ـ ٢ـ١١ـ٧٦

انما نعتز بتضامن ابناء كل الاقطار العربية مع نضالنا . وفهمهم لاوضاعنا الصعبة .. ولكننا نؤكد لهم اننا بنضالنا هنا في سوريا التي حولتها عصابة مسلمة الكذاب الى سجن كبير ، سنحطم هذا الطاغوت ونطمسه .. وسنحقق آمال امتنا العربية التي اصبحت معلقة بنضال شعبنا العظيم في سوريا ..



٣٣ـ تحويل انتصار تشرين الى هزيمة

يقول الناقد غسان الشريف :

لقد كانت الجماهير العربية تنتظر ثورة في الحركة الادبية بعد حرب تشرين ، بحيث ينحقق شعار جماهيرية الادب . كما كنا ننتظر ان يبرز صف الاحتياط من الأدباء والنقاد ، وتتاح له الفرصة لكي يلعب دوره المنتظر في تعميق الفهم القومي النصر ، وبناء السيكلوجية العربية بناء سليما معافى من الدور الرئيسي في تعميقه ، لكي يواصل مسيرة النصر ، ولكن ذلك لم يحدث .

ولعلنا من خلال استقراء ((ساذج)) لما كتب عن حرب تشرين ومعطياتها الايجابية ، وخاصة في اظهار نمو الوعي القومي عند الجماهير ، والذي استطاع ان يسطح هذه المعطيات ، ويحولها الى ((تراجعات)) خطيرة في مسيرة الانسان العربي ، ومن ثم قراءة ما كتب من نقد لأدب تشرين ، لعلنا في ذلك نكشف اللعبة الخطرة التي ((ادت الى)) تهجين النصر بالهزيمة ، وتقزيم تشرين ٧٣ ، عبر العودة به الى شرنقة حزيران ١٩٦٧ .

جريدة الثورة ـ ٤٢٠٠

للأمانة التاريخية نذكر أننا غيرنا في هذا النص كلمة واحدة ... فهذا الناقد ، حتى لا يودي به مقالة الى السجن ، قال ان « اللعبة الخطيرة التي أدت الى تهجين النصر بالهزيمة » هي من صنع الأدباء والنقاد .. ونحن جعلنا العبارة هكذا : « اللعبة الخطرة التي أدت إلى تهجين النصر بالهزيمة » .. ذلك لأن الذي حول انتصارات تشرين الى هزيمة هو حافظ اسد بالذات وليس الأدباء والنقاد ياهذا ..

فحافظ أسد ، وليس الادباء والنقاد ، هو الذي فاجأ العالم ، ونحن في قمة انتصارات حرب تشرين ، بقرار وقف اطلاق النار ...

وحافظ اسد بالذات هو الذي فاجأ بقراره هذا قواتنا الباسلة التي كانت في اعلى المعنويات والاندفاع للمضي بالمعركة حتى النصر الكامل ... وهو الذي فاجأ بقراره هذا قوات جيش العراق الباسلة التي كانت متفقة مع سيادته على خطة حربية معينة كان من المقرر خوضها في ذلك الوقت بالذات ، ثم فوجئت بسيادته يعلن قراره بوقف اطلاق النار ... بينما الادباء والنقاد وكل الشعب في سوريا وفي اقطار العروبة كافة كانت ضد هذا القرار وكانت مع خطة القوات العراقية الباسلة المرسومة على اساس استثمار النصر والاستمرار به الى نهاية الشوط وهو النصر الحتمي الذي بدا يلوح في الافق ...

وحافظ اسد بالذات ، لا الادباء ولا اي فئة من الشعب ، هو الذي استقبل نيكسون ممثل الامبريالية الاميركية التي حمت اسرائيل من السقوط تحت ضربات قواتنا العربية .. وحافظ اسد بالذات ، لا الادباء ولا اي فئة من الشعب ، هو الذي استقبل كيسنجر اكثر من ثلاثين مرة ، وكيسنجر يعمل لصالح مخططات العدو الاميركي المتحالف مع اسرائيل.

وحافظ اسد ، لا الادباء ولا غيرهم من أبناء شعبنا العظيم ، هو الذي فتح الباب للرجعية العربية وحول سوريا الى ممسحة لنزواتهم ...

يا هذا ... ان الارعن الذي قطع مسيرة النصر في منتصف الطريق ، ثم حول انتصارات تشرين ١٩٧٣ الى ما هو ابشع من هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، هو حافظ اسد الذي لم تخف اميركا ولا اسرائيل تواطؤهما معه في نكبة لبنان القومية المريعة ..

فهل فهمت الان سبب « تقصير » الادباء في « ابداع » ادبيات عن انتصارات تشرين ؟

كتب زكريا تامر :

يحق لوطننا الجميل ان يرفع عاليا ما تبقى من رأسه، فكل ما يحيا فيه له عمل محدد يؤديه بحماسة وتفان واخلاص فالشمس تشرق صباحا دون ان تحتاج يوما الى كتاب رسمي يحضها على القيام بواجبها ، والموظفون يتثاءبون بنشاط ، وسائقو الباصات والسرفيسات والتاكسيات يشتمون بأصوات عذبة ويتيهون دلالا ، والخراف ترفض الاشتراك في الافلام المحلية تعبيرا عن رغبتها في ان تظل الجماهير واعية ، ورجال شرطة السير يطالبون بالحاح باختراع سيارات تطير ، والتجار ينظرون الى اعناق المستهلكين ويهتفون بخشوع : الله اكبر ، ويبيعون . والتلاميذ يذهبون كل يوم الى مدارسهم بعد انتهاء عطلتهم ، والمعلمون يلقون دروسهم دون ملل ، ويقال ان واحدا من هؤلاء المعلمين كان يتمنى منذ صغره ان يصبح معلم مدرسة ، ولذا فقد فرح أعظم الفرح حين تمكن في هذه السنة من تحقيق امنيته ، وعندما دخل الى الصف الذي سيتولى التدريس فيه كان قلبه يخفق وكأنه عثر على بيت للاجرة ، ولكنه لما كان شديد الايمان بدور المعلم في تنمية شخصية التلميذ وتطورها ، فقد آثر اولا ان يحاول الكشف عن حقيقة هؤلاء الذين سيكونون تلاميذه . وطلب منهم ان يتحدثوا بصراحة عن الامنيات التي يتوقون الى الظفر بها حينما سيكبرون ويصبحون رجالا .

قال احد التلاميذ : امنيتي ان أكون بائع مازوت في الشتاء ، فأبيع الماء الوسخ على انه مازوت ، وانصت لاصوات المواطنين المتوسلة وانا احس انني آخر الملوك .

قال المعلم متسائلا : وماذا ستشتغل في الصيف حين يتضاءل الاقبال على شراء المازوت ؟

قال التلميذ : سأبيع السنجائر المهربة .

فتجهم وجه المعلم ، وقال لنفسه : هذا تلميذ سيصبح مليونيرا في المستقبل .

وقال تلميذ ثان : انا سأصبح طبيبا ذائع الصيت .

فابتهج المعلم ، وهتف : عظيم ! رائع ! لقد اخترت المهنة الانسانية التي تتيح لك انقاذ المرضى من آلامهم .

فقال التلميذ بدهشة : ولكني لن اعالج المرضى الحقيقيين لان معظمهم فقراء ، بل سأتخصص في معالجة الاغنياء الذين يتوهمون انهم مرضى ويملكون الجيوب المليئة بما اشتهي .

ازداد وجه المعلم عبوسا ، وقال لنفسه : هذا تلميذ يعوزه الابتكار والابداع ، ويكتفي بالتقليد .

وقال تلميذ ثالث : اما انا فأتمنى ان أصير وزيرا ، وامنيتي ليست مستحيلة التحقيق .

قال المعلم متسائلا بفضول : ولماذا اخترت هذه الامنية؟ أمن اجل خدمة الشعب ؟

فضحك التلميذ الثالث ، وقال : حين سأصير وزيرا سيكون الشعب قد تطور ولم يعد بحاجة الى من يخدامه .

قال المعلم باستغراب : اذن ما هو السبب الذي يدفعك الى ان تصير وزيرا ؟!

فأجاب التلميذ الثالث بثقة : أن لمهنة الوزير مزايا لا تحصى . ساحصل على سيارة فخمة يقودها سائق ، فلا اضطر الى الركض وراء الباصات والسرفيسات ، وسيظفر بيتي بتلفون دون ان انتظر سنوات للحصول عليه ، واذا اصبت بزكام فان كتب التاريخ ستتحدث مطولا عن تضحياتي في سبيل الانسانية .

فهز المعلم رأسه متعجبا ، وقال لنفسه : هذا تلميذ يمتلك وعيا اجتماعيا اكبر من سنه .

وقال تلميذ رابع : أنا سأشتغل في مهنة تكفل الخير للناس كافة .

قال المعلم بلهفة : وما هي هذه المهنة ؟

قال التلميذ : سأشتغل وسيطا بين الموظفين وبين المواطنين اصحاب المعاملات ، فيزداد دخل الموظفين ، ولا يشعر اصحاب المعاملات بمساوىء البيروقراطية .

ويقال ان ذلك المعلم قد داهمه انذاك رعب غامض ، فأمر تلاميذه بالسكوت ، وعندما لم يبالوا بأمره ، واستمروا في التكلم عن امنياتهم ، اضطر الى الهرب من المدرسة ، ولم يرجع اليها ، فأثار سلوكه الاستنكار ، واتهم بما يستدعي تدخل رجال قساة الوجوه والايدي .

جريدة تشرين ــ ٢٨٧

٣٥ــ النشيد الوطني أغنية لسميرة توفيق

تنشر جريدة « البعث » احيانا بعض « النهفات » التي يظنها الانسان بسيطة ولكنها في الواقع تكشف مدى رجعية الحكم الخياني ولا اباليته . ففيما يوهمون الناس بان عندهم طلائع للصغار وفتوة للشباب ، وانهم يدربون الاجيال الصاعدة على واحد اثنين ويمينك در ــ والعجيب انهم لا يحبون « يسارك در » ابدا ــ فان جريدتهم المركزية فضحت حقيقة نظراتهم اللا ابالية للاطفال وللشباب دون ان تدري .

وذلك عندما نشرت استجوابا حول «ادب الاطفال وصحافتهم» جاء فيه مثلا على لسان الاستاذ اكرم شريم الوقائع المشرقة التالية :

« ان الواقع مؤلم تماما كما نتوقع . وهذه عناصر الالم

١ ـ لا توجد دار نشر لكتب الاطفال وصحافتهم في بلدنا ، لا رسمية ولا غير رسمية .

٢ ـ اتحاد الكتاب لم ينشر منذ تأسيسه وحتى اليوم اي حرف للاطفال ، اي خلال ما يقارب السبع سنوات .

٣ ـ وزارة الثقافة نشرت ثمانية كتب خلال سبعة عشر عاما اي منذ تأسيسها ...

٤ ـ وزارة التربية لا تصدر شيئا للاطفال وصحافتهم ، ولا حتى غرفة فيها موظف وطاولة » .

هذه خلاصة ما اكتشفه زميلنا اكرم شريم ، أحسن الله اليه ، حول ما سماه « عناصر الالم » التي يبدو ان الزميل شريم لديه الكثير مما يريد ان يقوله حولها اولا انه موظف بجريدة البعث ويأكل خبز السلطان .. لذلك اراد ان يرمي الحمل عن كتفه فقذف الكرة الى الاستاذ حسيب كيالي المعروف بانه « اظرف لسان سليط في أروقة الادب العربي المعاصر » .. فقال حسيب :

ـ انت تسألني كيف ارى ادب الاطفال في بلدنا ؟ ..

ولكن سلني قبل ذلك كيف ارى ادب الكبار ..

ولكن المحرر الذي يعرف حدود المسموحات وحدود المحظورات حشره في خانة الاطفال مثلما يحشر لاعب الطاولة بخانة اليك .. فقال حسيب بعد ان ادرك ان الحديث عن ادب الاطفال لا يؤدي بالانسان الى بيت خالته :

« ليس في القطر الا مجلة واحدة للاطفال « اسامة » .. ولكنها مثل كل مجلة حكومية تنسحق تحت دولاب وزارة الثقافة وروتينها الذي لا يدع حيا يتنفس . وحتى عندما يظل حي يتنفس ينبغي له ان يقبع في كهف لا تصل اليه الشمس . الدليل الصارخ منشوراتها المتكدسة في

مستودعاتها ... ذلك انه يكفي ، لكي تقبر مخطوطا ، ان تنشره لك وزارة الثقافة » ..

ومن الواضح ان اخانا الاستاذ حسيب لم « يشتلق للنقرة » .. فوزارة الثقافة يا صاح لا تنشر كتبها على الناس لا لانها مغرمة بتكديسها في المستودعات ، بل لانها تخجل من نشرها على الناس .. كيف فاتك هذا يا حسيب ؟! ثم انك لم تلاحظ نقطة اهم واخطر ، وهي ان سياسة البلد اشتراكية . وفي البلاد الاشتراكية ـ حسب منطوق الاستاذ رشاد ابو شاور في الجريدة ذاتها ـ : « الاطفال هم يحظون بكل شيء الراحة والتعلم ، الحدائق والموسيقى ، رخص الملابس ، ادوات اللعب .. هنا في بلادنا ـ الاشتراكية جدا ـ لا تستطيع شراء لعبة لطفلك بسبب الغلاء الفاحش . أنت قطعا ستفكر في شراء الطعام واللباس له . اذن الثقافة كمالية على الهامش ... باختصار الطفولة في بلادنا مهملة ، مدفونة في غبار الشوارع الخلفية ، تغتال عقلها ثقافة ضحلة وتوجهها عقول بلهاء متخلفة ... ابني عمره خمس سنوات . ادخلته في الحضانة . هل تعرف ماذا تعلمه من المدرسة ؟ . علمته الانسان نشيدا وطنيا مدهشا : باردة بردانة باردة ... باختصار : المستقبل في خطر » ..

وينهي هذا الشاهد كلامه اليائس بقوله : « انني لا انتظر من جهة ما ان تقوم بثورة في التعليم ونشر الثقافة بين الاطفال » .

يبدو ان حضرته نسي الشعب .



ليكن شعارنا : وحدة وطنية شاملة تجمع كل فئات الشعب في جبهة نضال وطني واحدة ضد الخائن الارعن الذي يريد تحويل سوريا البطلة من راس حربة ضد الصهيونية والاستعمار الى اداة ذليلة بيد الاستعمار الاميركي وملوك الرجعية ...

٣٦- يترك الجمل ويتقاوى على الداجة

كتب زكريا تامر :

ما يسمى حالياً بالتخلف الحضاري العربي هو العدو الخفي ، الغامض الصفات ، المطلوب حيا او ميتا ، ولكن صفاته لن تكون بالتأكيد الشروال والقبقاب والقنباز والطربوش والازقة الضيقة والبيوت الترابية والاقدام الحافية ، كما انها لن ليست السكن في الخيام ، وركوب الحمير والجمال .

وقد يقال ان التخلف الحضاري هو تلك الامية المتفلغلة في الوطن العربي الى حد انها تسيطر على سبعين بالمئة من سكانه ، غير ان الاحداث التاريخية المتعاقبة على الارض العربية قد قدمت الدليل على ان الامية لم تمنع ضحاياها من اداء ما عليها من واجب ، فالاميون في ايام الخطر قد سارعوا الى اهراق دمائهم دون ان يفكروا لحظة في الاوسمة والتماثيل ودون ان يطمحوا الى اطلاق اسمائهم على ساحات وشوارع ومدارس .

كما ان العلاقات السائدة بين هؤلاء الاميين هي علاقات انسانية تتسم بحب صادق للحياة والبشر ، وبالصدق والكره للزيف والخداع والرياء ، فالعدو عدو والصديق صديق .

ولذا فان تهمة التخلف الحضاري الموجهة الى الاميين قد تستحق الرفض بوصفها التهمة الملفقة المدعومة من قبل شهود زور فقط ، مع ان الامية بالتأكيد مدانة لكونها المسؤولة عن بقاء القوة البشرية الاولى في الوطن العربي مهملة منسية ، معطلة الطاقات ، وتزداد مسؤوليتها خطورة اذا كانت طاقات الفئة المتعلمة التي تشكل ثلاثين بالمئة من سكان الوطن العربي مستغلة الاستغلال الذي يتيح لها

الاسـ في هدم عالم عفن وبنـاء عالم اخـر يحترم الانسـان وحقه في حيـاة تمنحه العدل والحرية والمسرة والطمئانينـة والكـرامة .

ولكن الدراسة المتأنية لواقع تلك الفئة المتعلمة تخلص الى القول بثقة ان الفارق بين الامي والمتعلم هو ان الاول لا يقرأ الجرائد على الرغم من انها الفئة التي تمتلك من الوعي والثقافة ما يؤهلها للقيام بدورها التاريخي العظيم الاهمية ، ولكن دورها الراهن بعيد عن الفعل ، ومقتصر على الكـلام المتذمر والنوم والاحتجاج على فوضى السير وذم الزمـان الذي يجعل من القرد طاووسا .

ولعل الانصاف يقتضي التنويه بأن افراد تلك الفئـة ليسوا متشابهين ، فبعضهم يتقن التعامل مع الحياة اليومية ويستخدم ثقافته ووعيه كما تستخدم المومس جسـدها في سوق خاضعة للمساومات ولقوانين العرض والطلب ،فالمغانم الشخصية هي الهدف الاسمى والاوحد بحجة ان الدنيـا نذلة تميل الى الانذال ، وبحجة ان تقليب الدراهم يوقـف الشيب ، وبحجة ان العمر قصير والحياة لا توهب مرتين ، وبحجة ان اعلان الحرب على ظالم قوي غباوة ونزق طفولي، ولذا فقد تحولوا الى اصحاب دكاكين فكرية تبرر الخطـأ والاهمال والتقصير والخيانة بكلام بليغ مؤثر ، فـاذا جـاع الشعب فان المسؤول ليس سيادة الاستغلال والمستغلـين بـل المسؤول هو الاستعمار والاخلاق غير الحميدة ، واذا اكتظت السجون بالابرياء والمذنبين فانها هي تلك المـدارس التي تعلم وتثقف دون اجـر .

انهم في ان واحد مبتكروا المشانق والحبال التي تشنق والالسنة التي ترثي المشنوقين .

وهكذا فان افعالهم ، والاخلاص للحياة الشعبية وتراثها

يتطلبان الان تقديم ملخص لحكاية تروى في ريفنا السوري .

تقول الحكاية ان رجلا كان يعيش في احدى القرى ، وقد نسي ناسها اسمه الاصلي ، واشتهر بينهم باسم «المدبر» فهو ذلك الحكيم الذي يمتلك القدرة على ايجاد الحل لاي مشكلة مستعصية .

وفي احد الايام راى ثور عطشان خابية ماء ، فحشر راسه في فوهتها وشرب من الماء حتى ارتوى ، ولكنه عندما اراد اخراج راسه من الخابية اخفق ، فتجمع اهل القرية وتشاوروا مع مالك الثور باحثين عن وسيلة تمكن الثور من اخراج راسه من الخابية ، ولما عجزوا بادروا الى استدعاء « المدبر » ، فجاء « المدبر » وتأمل الثور والخابية ، وفكر طويلا ثم طلب سكينا ، وما ان امسكها حتى استخدمها في قطع راس الثور ، ونظر الى اهل القرية نظرة مفعمة بالزهو والاعتداد ، فقال له اهل القرية : ولكن راس الثور ما زال في الخابية .

فغضب « المدبر » ، وقال لاهل القرية مؤنبا : يالكم من اغبياء جهلة ! استخدموا عقولكم قليلا أم انني يجب ان افكر دائما بدلا منكم .. هيا اكسروا الخابية .

فامتثل اهل القرية لامره وكسروا الخابية ، وعندئذ صاح « المدبر » بلهجة المنتصر : ارايتم ؟ ها هو ذا راس الثور قد خرج .

ويقال ان اهل القرية في ذلك الحين قد تصايحوا معجبين اشد الاعجاب بحكيمهم المدبر القادر على ايجاد الحلول للمشكلات كافة .

والمثقفون الذين يتناسون مهمتهم كطليعة ويستخدمون ثقافتهم جسرا للوصول الى الكراسي التي تمنح النفوذ والمال هم ذلك الحكيم المدبر ذاته ، ولكن اهل القرية تبدلوا وباتوا لا يتصايحون اعجابا بل يجمعون الحجارة سرا استعدادا لساعة الرجم .

جريدة تشرين – ٢٨٩



٣٧ـ الخدمات الصحية في أفضل مستشفى حكومي

بتاريخ ١ـ١٠ـ١٩٧٦ قام اللواء عبدالرحمن خليفاوي رئيس مجلس الوزراء بزيارة لمستشفى المواساة دامت خمس ساعات تفقد خلالها سير العمل في المستشفى واطلع على امكانية وواقع المرضى وعمل الاطباء والممرضين والفنيين فيه

ولاحظ خلال زيارته ان عدد المرضى في المستشفى ٥٤٥ مريضا فقط بينما يتسع المستشفى لـ ٦٥٠ مريضا وفيه ١٥٠ طبيبا مختصا ومقيما اي بمعدل طبيب لكل ثلاثة مرضى . وهذا من احسن النسب في العالم . ويحتوي اسرة وغرفا ولديه امكانيات تكفي لمعالجة العدد الكامل من المرضى. وان متوسط تكاليف السرير الواحد يبلغ حوالي خمس واربعون ليرة سورية يوميا ، وان المريض لا يدخل المستشفى الا بالواسطة .

كما لاحظ انه يوجد في المستشفى ست عشرة غرفة عمليات منها اثنتان لعمليات الاسعاف وهي مجهزة لتعمل اربعا وعشرين ساعة في اليوم ومع ذلك فان معدل العمليات لا يتجاوز عملية او عمليتين في اليوم الواحد . وان بعض غرف العمليات لا تستخدم طوال عدة اشهر رغم وجود عدد كبير من المرضى بحاجة الى عمليات ورغم ان غرفة العمليات الواحدة تعمل باستمرار في المستشفيات الخاصة وتستغل بكامل طاقتها .

وخلال تفقد اقسام المستشفى لاحظ كثرة الاوساخ والاقذار في الممرات والغرف والمطابخ وفي كل مكان وكذلك عدم نظافة المفروشات والاسرة والادوات التي يستخدمها المرضى . ولاحظ ان معظم صنابير المياه في المستشفى غير صالحة ويتدفق منها الماء باستمرار .

وقد شكا المرضى لرئيس مجلس الوزراء سوء معاملتهم وسوء الخدمات التي تقدم لهم . وقال احد المرضى انه لم يزره طبيب منذ شهرين علما انه ادخل لاجراء عملية جراحية .



كما شكى اخرون من الاهمال الذي يلاقونه من الاطباء وعدم زيارتهم الا نادرا .

وفي غرف الاسعاف لاحظ السيد اللواء طفلة تعاني نزيفا من اذنيها منذ الصباح الباكر دون ان يتقدم طبيب لاسعافها . وان مريضنا بحالة اسعاف خطيرة ما زال داخل سيارة الاسعاف خارج المستشفى وعديدا من حالات مشابهة

يواجهها المواطنون عند اسعافهم الى مستشفى المواساة .

كما تبين للسيد اللواء ان طبيبين من اطباء الاشعة لم يداوما منذ يومين دون سبب ولا عذر ودون ان يسألا رغم حاجة المستشفى لهما اذ لم يبق في قسم الاشعة الا طبيب واحد . وتبين ايضا ان احد الاطباء لم يداوم طوال ستة اشهر ورغم ذلك تقاضى كامل رواتبه بل ورفع الى درجة اعلى وكأنه متفان في عمله . وان طبيبا اخر لم يعد مريضا طوال شهرين . ولاحظ كذلك ان الاطباء لا يعملون اكثر من ثلاث الى اربع ساعات يوميا فقط وفي احسن الحالات .

وعند اطلاع رئيس مجلس الوزراء على الطعام في المستشفى لاحظ الفرق الواضح بين طعام الاطباء والممرضين وبين طعام المرضى سواء من حيث قيمته الغذائية أم من حيث كمياته ونظافته .

ثم اجتمع مع مدير مستشفى المواساة ورؤساءالاقسام فيها وناقشهم في هذا الواقع السيء القائم في المستشفى سواء في هدر امكانياته الممتازة او عدم استخدام طاقاته في ظروف مثل ظروف بلدنا وفي امكانيات مثل امكانياتنا .

وقد اعطى السيد رئيس مجلس الوزراء التعليمات التالية :

١ ـ تطبيق الدوام تطبيقا دقيقا حسب النظام المحدد في المستشفى وانظمة كلية الطب .

٢ ـ تعيين رئيس اطباء لتنظيم اعمال الاقسام بصورة دقيقة وصحيحة

٣ ـ اتخاذ اجراءات بحق المقصرين والمهملين بما فيها حرمانهم من شرف مزاولة المهنة وتجريدهم من القابهم طالما لا يراعون واجباتهم وما تستحقه مهنتهم من تضحية وانسانية .

٤ ـ طلب من وزير التعليم العالي وعميد [illegible]ية الطب تقديم مقترحات عملية تعالج مسائل استغلال [illegible]اقات وامكانات المستشفى بشكل كامل وصحيح وتعالج كذلك مسائل دوام الاطباء والعناية بالمرضى والاستجابة لشكاوى المرضين واعطائهم حقوقهم المضمونة .

٥ ـ لاحظ السيد رئيس مجلس الوزراء ان المبرزين من طلاب الدراسات العليا لا يؤخذون لزيادة التخصص بينما يوفد المعيدون .

وطلب من وزير التعليم العالي تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ومساواتهم بغيرهم وخاصة المتفوقين منهم وانصافهم على اساس كفاءاتهم دون اي اعتبار اخر .

٦ ـ لاحظ السيد رئيس مجلس الوزراء سوء الانضباط واستغلال الوظيفة او المنصب لدى البعض مما يؤدي الى الدخول عنوة الى المستشفى والاعتداء على المستخدمين وموظفي الاستعلامات واصدر تعليمات مشددة الى مختلف الجهات لمعاقبة المتطاولين والمخلين بالانضباط مهما كانت صفتهم .

وقد علق زكريا تامر على « شجاعة » اللواء خليفاوي في هذه الزيارة بقوله :

في احدى روايات الكاتب الروسي دستويفسكي ، يركع ناسك جليل الشأن ، ويلمس بجبهته الارض التي تطأها قدما رجل اشتهر بانه الشرير الفاسق الملحد ، فيثير سلوكه الاستغراب والدهشة ، ثم يتضح فيما بعد انه ركع تعبيرا عن اشفاقه واحترامه لذلك الانسان المحكوم عليه في المستقبل بأن يستحقه من الالام الانسانية ما يفوق طاقة القلب البشري على الاحتمال .

وفقراء بلدنا يوم يداهمهم المرض يجدون انفسهم مرغمين على ان يقصدوا المستشفيات الحكومية طلبا للعلاج ، وهم يستحقون دون ريب ان يبكي الوطن تعاطفا

منهم وتقديسا لهم بوصفهم من ابنائه الذين سيجابهون من الالم والمهانة والذل والتحقير ما لايستطيع مخلوق بشري ان يتحملـــه .

وما شاهده السيد اللواء عبدالرحمن خليفاوي فيزيارته لمستشفى المواسـاة بدمشـق يؤكد ان مسـتشفياتنا الحكومية حاليا هي المكان المختص بأذلال الفقير ومعاملته على انه ذلك المزيج الغبي من ثياب بالية ولحم وعظم . ففـي زيارته تلك والتي استمرت خمس ساعات ضبط المستشفى بالجرم المشهود ، وأبصر القاتل وهو يقتل ، ولقد عجـز المسؤولون عن المستشفى عن تقديم اي عذر يبرر ما يسود المستشفى من اهمال وتقصير وفوضـى . ولكن السـيد خليفاوي لو كان مجرد مواطن عادي وليس رئيس وزراء ، وزار المستشفى ، فمن المؤكد انه كان آنئذ سيستمع الـى طوفان من الحجـج .

سيقال له ان المرضى لا يسمح لهم بدخول المستشفى الا بالوساطة تنفيذا لمخطط يطمح الى اعداد بحث اجتماعي علمي هدفه تحديد عـدد المواطنين القادرين على الحصـول على وساطة . وسيقال له ان غرف العمليات تستخدم قليلا حرصا من الاطباء على بقاء مشارطهم مرهفة النصال بغيـة استخدامها في حرب على العدو الصهيوني .

وسيقال له ان غرف العمليات الاخرى التي لم تستخدم منذ عدة اشهر ، تؤجر مفروشة للسياح ، وخدمة السياح مهمة وطنية ودعاية سامية للثورة .

وسيقال له ان الاوساخ المتراكمة في غرف المسـتشفى وممراته ومطابخه ترمي الى جعل المواطن المريض يشعر في كل لحظة انه لم يفارق وطنه ولا يزال حبيسا فيه .

وسيقال له ان قذارة الاسرة والمفروشـات وادوات المرضى لايرجع سببها الى عداء ايديولوجي للنظـافة بل هي

حزن على شهداء حرب حزيران .

وسيقال له ان الاطباء يعاملون المرضى معاملة سيئة، تعبيرا عن موقف اجتماعي يكره الميوعة والتخنث .

وسيقال له ان بعض الاطباء الذين لا يداومون على العمل في المستشفى منهمكون في الكفاح لمحو الامية ونوعية الجماهير . وسيقال له ان الاطباء يعملون في المستشفى اربع ساعات يوميا كحد اقصى كي يتاح لهم الوقت لمعالجة مرضى عياداتهم الخاصة ؛ ومن البديهي ان لكل مواطن الحق في الحصول على العلاج اللازم .

وسيقال له ان اختلاف طعام الاطباء والمرضيين والممرضات كما ونوعا عن طعام المرضى هو امر طبيعي لان المرضى لا يأكلون في بيوتهم طعاما افضل .

وسيقال له ان الطفلة التي تعاني نزيفا في اذنيها لم تسعف ايمانا بان المواطن الذي لا يسمع اكثر سعادة من المواطن الذي يسمع .

وسيقال له ايضا في الختام ان مستشفى المواساة يعتبر مستشفى مشيدا في جنان الخلد اذا قورن بغيره من المستشفيات الحكومية الاخرى .

وقولهم الاخير هذا ليس تباهيا كاذبا بل هو القول الصادق المفصح عن حقائق مرة شائنة .

واذا كان السيد خليفاوي قد امر باتخاذ الاجراءات الفورية الصارمة الكفيلة بالقضاء على الاوضاع السيئة السائدة في مستشفى المواساة . فان مهنة الطب في بلدنا تحتاج الى اجراءات جذرية ، تعيد اليها وجهها الانساني ودورها النبيل . وتنقذها من عدد من الجزارين المتنكرين في ثياب بيض .

ولابد ان المواطنين الفقراء الذين سيطلعون على وقائع تلك الزيارة التي كشفت عن امور فاجعة مخجلة . سيدهشون

لان السيد رئيس مجلس الوزراء لم يوجه تحية مفعمة بالاعجاب والتقدير الى المواطنين الاذكياء الذين يمرضون فيفضلون ان يموتوا موتا سعيدا في بيوتهم بدلا من ان يقصدوا المستشفيات الحكومية ليموتوا فيها الموت الذليل الذي لا يليق بمخلوقات بشرية سبق لها ان عاشت في عصر اتهم انه العصر الذي منح الانسان الكرامة والحرية والعدل .

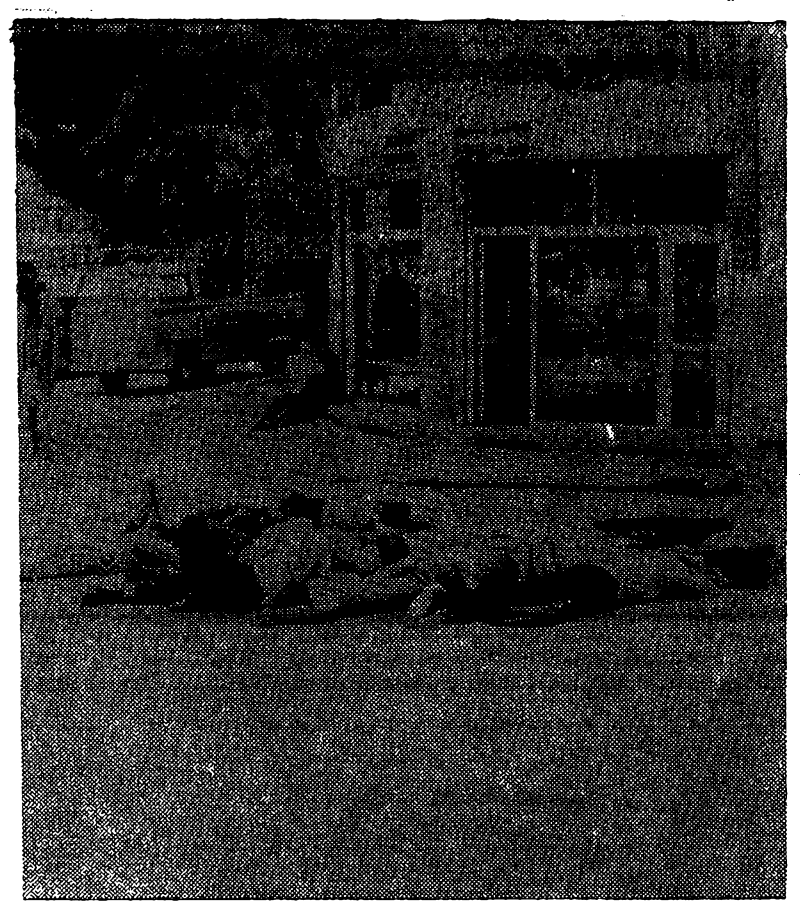


دريد : دخلك نهاد اذا كان العرب قبل ١٤٠٠ سنة سموا « ابو رغال » خاين ، لانه دل الاجانب على طريق الكعبة بعام الفيل ، وظلوا يلعنوه ويرجمو قبره بالحج كل سنة من يوم سيدنا لمحمد لابد الابدين .. شو راح يسموا صاحبنا حافظ اسد ؟

نهاد ....

٣٨ ـ صورة من بلدنا

وهذه صورة أخرى ، بالكاميرا ، عن ابناء بلدنا الذين أصبحوا يفترشون الشارع ويلتحفون السماء ، في زمن النظام الرديء .. ننقلها بالزنكوغراف عن جريدة «النهرين» التي نشرتها بتاريخ ١١ـ١٠ـ١٩٧٦





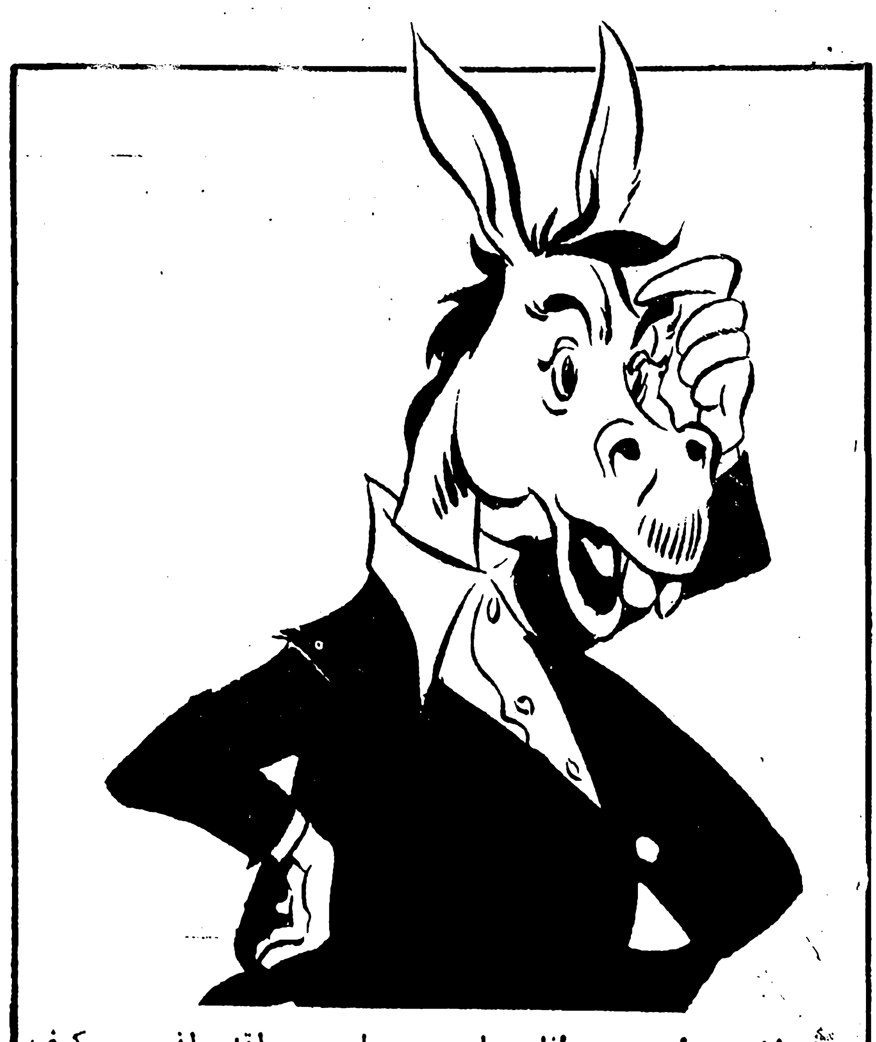
حمار أفندي : صحيح انا حمار بس مشتهي اعرف كيف الواحد بيحرر فلسطين اذا كان عم يقتل الفلسطينيين ؟

٣٩ـ ستظل سوريا قلعة النضال وقلب العروبة النابض .

وبعـــــد ..

لم يعرف شعبنا العربي ، في اي قطر من الوطن الكبير ، وفي اية فترة من التاريخ محنة مثل المحنة التي نعاني منهـا نحن السوريين اليوم . وهذا امر اصبح من جملة مهامنـــا النضالية في هذه المرحلة ان نوضحه لاخواننا ابناء الاقطـار العربية الاخرى الذين جعلتهم شدة المحنة يتساءلون : ايـن شعب سورية العظيم ؟ ماذا اصاب قلعة النضال القومي ؟ وماذا حل بقلب العروبة النابض ، ؟

انا ــ يا اخواننا العرب في كل مكان ــ نحب ان نؤكد لكم قبل كل شيء بان سوريا ليست حافظ اسد ، وانمـــا سورية كلها ضد هذا الحاكم الارهابي الخائن الذي اراد ان يوظف شعارات امتنا النضالية لخدمة اهـداف الاستعمار والصهيونية .. ودليلنا على ذلك السجون التي غصـــت بالمعتقلين من ابنائنا حتى اضطرت السلطة الارهابية لتحويل « المعارض » الى سجون ، والعشرات من الضحايا الـــذين يموتـون تحت التعذيب او برصاص الغدر والارهـــاب ، ومظاهرات ابنائنا في الخارج ــ خارج السجن الكبير ــ الذين هاجموا السفارات وبصقوا في وجوه ممثلي سياسة النظـام الخيانية ونسفوا واحرقوا بعض المكاتب الرسمية في عـدة عواصم من العالم .. ودليلنا على ذلك ايضا القنابـــــل والمتفجرات التي تحدث في كل يوم في مختلف احياء المـــدن السورية . ونسف سيارات كبار زمرة الخيانة من عصـابة السلطة . بما فيها سيارات كبار مسؤولي السلطة . ومبادرات التصدي البطولية التي قام بها شـباب امتنا الشـــجعان حين قتلوا اعداء الشعب من ازلام السلطة امثال محمد غرة مدير المخابرات في حماه وجمعة خشان في ادلب ، وحســـن



جمار افندي : صحيح انا حمار بس ما عـــم اقدر افهم .. كيف
مخابرات حافظ اسد عم تتعـاون جهارا نهارا مع مخابرات اسرائيل
اذا كانت المخابرات السورية كل وظيفتها انه تكون ضد جواسيس
اسرائيل ؟!

الخليل ، وكثيرين غيرهم .. ودليلنا ايضا شهامة العديدين من رجال جيشنا الذين ذهبوا الى لبنان فانضموا بدباباتهم واسلحتهم لاخوانهم في المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . وجندوا انفسهم لقتال الانعزاليين ومناهضة سياسة حافظ اسد الخيانية في لبنان .. وعشرات الضباط الشرفاء الذين فضلوا السجن والتسريح بل والتعرض للاعدام دون ان يقفوا ساكتين او منفذين لسياسة نظام الخيانة العميل ..

والطيارون الشرفاء الذين لاذوا بعقيدتهم القومية الى العراق ، ونقلوا الى شعبنا في القطر العراقي والى الشعب العربي كله الصورة الحقيقية لتطلعات كل مواطن في قطرنا السوري ، وهي ان يكون العراق وسوريا معا نواة نضالية واحدة تعيد لمسيرة ثورة التحرر القومي خطها الصحيح السليم ، وتكون الرد القومي على مؤامرات الامبريالية والصهيونية ومخططاتها التي اوصلت الاوضاع العامة المتردية الى ما هي عليه اليوم من حالة مخزية مشينة ..

يا اخواننا العرب في كل مكان .. اننا نعاهدكم — ونحن داخل اسوار السجن الكبير وتحت وطأة ارهاب لم يعرف له التاريخ مثيلا — على ان تظل سوريا قلعة النضال القومي وقلب العروبة النابض وستظل جماهيرها حاملة لمشعل النضال الدائم والصامد والعنيد ، في مسيرة ثورتنا القومية الكبرى ، لتحقيق اهداف امتنا المجيدة ..

وسوريا بالذات علمت المستعمرين انها ام المفاجآت ..



